الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة :

السياق و أهميته التداولية مقاربة في سورة طه

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص لسانيات عربية.

إعداد الطالبة: تيطوح ربيحة.

إشراف الأستاذ : محمد زيان

2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لي صَدْري 25

وَيَسِّرْ لِي أمْرِي 26

وَاُحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَاني 27

يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾ 28

–سورة طه–

﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الظّالمِيْنَ﴾

–الآية 87 من سورة

الأنبياء–

الشكر و العرفان

شكر وعرفان

بِسْمِ اُللَّهِ اُلْرَّحْمَنِ اَلْرَّحِيْمِ: {{رَبِ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ اُلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىَّ وَلِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرْضَهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ اُلصَّلِحِينَ }} سورة النمل الآية 19

لا يسعني بعد إكمال هذه المذكرة المقدمة لنيل شهادة الماستر إلا أن أحمد الله و أشكره على عظيم نعمته و رحمته التي وسعتني لإعداد هذا العمل و أصلي على الحبيب المصطفى نور القلوب محمد صلى الله عليه و سلم

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف محمد زيان،الذي لم يبخل علي بنصائحه القيمة كما أشكر سلفا أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه على ما سيبذلونه من جهد وقراءة لهذه المذكرة وتقويمها

و أخيرا فائق الشكر و التقدير إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

تيطوح ربيحة.

الإهداء

إهداء-

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أثني عليه بأكمل ثناء وأمجده بأجل تمجيد.

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى غاليتي الوحيدة و الفريدة إلي نبع الحب والحنان أمي الحبيبة.

إلى أغلى وأعز إنسان على قلبي إلي سر وجودي أبي الحبيب "رحمه الله".

إلى إخوتي عزالدين و عبدالرحيم .

إلى أخي محند أكلي وزوجته و أبنائه .

إلى خالتي زهية وزوجها محمد أطال الله في عمرهما.

إلى أفراد عائلتي من أكبرهم إلي أصغرهم ومن أقربهم إلي أبعدهم.

إلى الأستاذ المشرف محمد زيان على ملاحظاته القيمة.

وإلى كل من أحبني و تمنى لي النجاح.

تيطوح ربيحة.

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق و أشرف المرسلين سيدنا محمد _صلى الله عليه وسلم_ و على أله وصحبه أجمعين أما بعد:

اللسانيات التداولية إتجاه لغوي ظهر و ازدهر على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر،يهتم بدراسة اللغة أثناء الإستعمال، و لعل هذا ما جعله أكثر دقة وضبطا ،حيث يدرس اللغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة ، وبحسب أغراض المتكلمين و أحوال المخاطبين وتعنى اللّسانيات التداولية في سبيل دراستها للغة بأقطاب العملية التواصلية ،فتهتم بالمتكلم و مقاصده وتراعي حال السامع أثناء الخطاب ، كما تهتم بالظروف و الأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية ، ضمانا لتحقيق التواصل من جهة، و لتستغلها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من جهة أخرى.

و التداولية علم تواصلي جديد يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويفسرها ويساهم في حل مشاكل التواصل و معوقاته ، و مما ساعدها على ذلك أنها مجال رحب يستمدّ معارفه من مشارب مختلفة فنجده يمتحُّ من علم الإجتماع وعلم النفس المعرفي، واللسانيات وعلم الإتصال و الأنتروبولوجيا والفلسفة التحليلية.

و بذلك فالتداولية تستند إلى كثير من مكاسب المعرفة الإنسانية المختلفة مما أكسبها طابع التّوسع و الثراء في معالجاتها المختلفة للغة، وجعلها تتخذ لنفسها مكانة مهمة بين البحوث بعدما كانت سلة مهملات للسانيات.

و يعد السياق من أهم المباحث التي اهتم بها العلماء قديما و حديثا، حيث يعتبرمحورا رئيسيا من محاورالدلالة و ثمرة من ثمرات اللسانيات حيث أن غاية علوم اللغة هو الوصول إلى المعنى

ولتحقيق هذه الغاية قامت عدة نظريات أهمها النظرية السياقية التي تزعمها الإنجليزي "فيرث" في العصر الحديث مثَّل السياق بالمفتاح لأنه حسب تعبيره أن السياق يحدد الدلالة المقصودة فبدونه تبقى الكلمات مقفلة والنص والجمل في حالة من الغموض فهو يزيل اللبس عن الكلمات والنصوص وهذا الاهتمام المتزايد بالنظرية السياقية غيَّر مجرى الدراسات اللسانية، و لقد إستعان علماء العربية قديما بالسياق في تفسير القرآن الكريم و تحليل النصوص بهدف الوصول إلى دلالتها بدقة.

و أما سبب اختياري لموضوع هذه المذكرة هو رغبتي في دراسة موضوع السياق و أهميته التداولية لما له من أهمية في الدراسات اللغوية العربية و لما له من أهمية في تفسير معاني القرآن الكريم إضافة إلى ذلك إهتماماتي وميولي الشخصية في معرفة أسرار القرآن الكريم بإكتشاف أهمية السياق في سورة "طه".

لذلك وسمت هذه المذكرة بعنوان "السياق و أهميته التداولية مقاربة في سورة طه". تحاول معالجة مجموعة من الإشكاليات والمتمثلة في ما يلي:

- ما ماهية التداولية؟
- كيف نشأت وتطورت التداولية؟
- ما هي المبادئ والأسس التي تقوم عليها التداولية؟
- ما ماهية السياق؟
- ماهي عناصر وأنواع السياق؟
- هل لسياق أهمية في التداولية؟
- ما هي تجليات تطبيق السياق وأهميته على سورة "طه"؟

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج التفسيري،أما المنهج الوصفي فقد أفادني في الفصل الأول، والمنهج التفسيري في الفصل الثاني من خلال تفسير سورة "طه".

وهدفي من هذا البحث هو إثبات أهمية السياق في التداولية، و الوصول إلى معاني القرأن الكريم وذلك من خلال المقاربة في سورة "طه"و إثبات أنه عنصر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه في البحث عن المعاني و الدلالات للنصوص بشكل عام، وكيف أنه يساهم كثيرا في تفسير القرآن الكريم وفهمه على الوجه الصحيح وفي (سورة طه) تحديدا.

وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة سلفاً قسمت هذه المذكرة والتي هي بعنوان"السياق و أهميته التداولية مقاربة في سورة طه" إلى مقدمة وفصل نظري وفصل تطبيقي وخاتمة، تطرقت فيه المقدمة لموضوع البحث و أسباب إختياره ثم الفصل الأول وقد كان عنوانه: السياق و أهميته التداولية .إندرج تحت هذا الفصل النظري ثلاثة مباحث وهي كالأتي:

- المبحث الأول بعنوان ماهية التداولية.
- المبحث الثاني بعنوان مبادئ التداولية.
- المبحث الثالث بعنوان السياق.

أما المبحث الأول فتناولت فيه تمهيدًا ثم التداولية في عرفيها اللغوي والإصطلاحي وذلك من خلال تعريفات علماء العرب والغرب، كما تطرقت في هاذا المبحث إلى نشأة وتطور التداولية ثم بعد ذلك أسس التداولية ثم مهام التداولية والدرجات الثلاثة لتداولية لنختم هذا المبحث بمقاربات الدرس التداولي وأثرها في البحث اللساني.

أما المبحث الثاني فتناولت فيه مبادئ التداولية ، حيث بدأت هذا المبحث بتوطئة ثم تطرقت إلى مبادئ التداولية من إشاريات و الأفعال الكلامية و متضمنات القول و الإستلزام

الحواري و الحجاج والخطاب والقصدية مع تعريف كل عنصر وذكر عناصر وقوانيين و أنواع كل مبدئ من هذه المبادئ.

لأنتقل للمبحث الثالث والذي هو تحت عنوان السياق والذي فصلت فيه أكثر مقارنة بالمبادئ السابقة بما أنه الموضوع الأساسي في البحث لذلك خصصت له مبحث لوحده والذي تطرقت فيه إلى تمهيد ثم المفهوم اللغوي لسياق من خلال القاموس العربي والقاموس الغربي ثم تعريف السياق إصطلاحا من خلال القواميس المتخصصة ، وبعد ذلك تطرقت إلى مكانة السياق في المقاربة التداولية ثم ذكرت أنواع السياق وتعريف كل نوع :السياق اللغوي والسياق غير اللغوي ،السياق الوجودي،المقامي،العاطفي،النفسي،الثقافي،سياق الفعل،سياق الموقف،سياق الحال، ثم عرضت أهم عناصر السياق، و بعد ذلك تطرقت إلى السياق في الموروث العربي من خلال أولا :علم البلاغة ،ثانيا :علم التفسير ،ثالثا :علم أصول الفقه، كما تطرقت إلى السياق عند اللسانين الغرب لأختم هذا المبحث بأهمية السياق.

أما الفصل الثاني (التطبيقي) فهو بعنوان "مقاربة في سورة طه" ولقد تناولت فيه مايلي:

التعريف بالسورة الكريمة ، فضل قراءة سورة "طه"، سبب تسميتها بهاذ الإسم، أسباب نزول سورة "طه" ، تفسير وتحليل سورة "طه" وذكر مواطن وأنواع السياق وأهميته في هذه السورة.

وأما الخاتمة فتمثلت في النتائج المتوصل إليها من خلال هذه المذكرة وكذا الإجابة على الإشكاليات المطروحة و إثبات صحة هذه الإشكالية .

ولقد واجهتني في إعداد هذه المذكرة المتواضعة بعض الصعوبات والعراقيل من بينها : صعوبة الربط بين المعلومات، وضع خطة مناسبة لموضوع لبحثي، التأثر بجائحة كورونا نظرا لغلق المكتبات وحرمتنا من المراجع بالنسخ الورقية والإكتفاء بتحميل النسخ الإلكترونية ، الدقة والحذر في التعامل مع النص القرآني "سورة طه"لخصوصيته وقدسيته.

ومن أهم المصادروالمراجع التي إعتمدتها في إعداد مذكرتي أذكر بعضاً منها:

- التداولية عند علماء العرب ل الدكتور "مسعود صحراوي".
- أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ل الدكتور "محمود أحمد نخلة ".
- السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة : ل "علي أيت أوشان".
- محاضرات في اللسانيات التداولية ل الدكتورة "خديجة بوخشة".
- روح المعاني في تفسير القرآن ل"محمود الألوسي".
- تفسير التحرير و التنوير ل " محمد الطاهر بن عاشور".

والشكر لله تعالى الذي بعونه وقدرته تم إنجاز هذه المذكرة مع العلم أن لكل شيء إذا ما تم نقصان ، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذ المشرف محمد زيان المحترم،و إلى أعضاء لجنة المناقشة المحترمين على قراءتهم و توجيهاتهم القيمة، كما أتقدم بخالص شكري إلى ينبوع الحنان أمي الحبيبة و لكل من أعانني من قريب أو بعيد.

والحمد لله أولا وأخيرا والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى محمد _ صلى الله عليه وسلم_ .

الفصل الأول الجانب النظري: السياق وأهميته التداولية

-المبحث الأول:ماهية التداولية

-المبحث الثاني: -مبادئ التداولية .

-المبحث الثالث:-السياق .

المبحث الأول:ماهية التداولية

تمهيد:

يمثل مساق التداولية ، محورا هاما في الدرس النقدي واللساني المعاصر، ذلك أنه مبحث غني بالنظريات الواصفة للخطاب : نظرية أفعال الكلام ، النظرية القصدية ، السياق ...، وهو درس غني كذلك بالإواليات العملية التطبيقية في إجراء تحليل و فحص الخطاب اللغوي عموما ، والنص الأدبي على وجه الخصوص.[1]

1:التداولية في عرفيها اللغوي و الإصطلاحي:

أ-التداولية لغة:

ورد في لسان العرب **لإبن المنظور: دَوَل:** العقبة في المال والحرب سواء وقيل :الدُوَلةُ بالضم ، في المال ،والدَوَلَةُ بالفتح في الحرب،الفعل،وفي حديث أشراط الساعة:إذا كان المغنم دُوَلاً ،جمع دولة،بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم،وقال الزجاج:الدُولة اسم الشيئ الذي يُتداول والدولةُ الفعل والإنتقال من حال إلي حال ،... كأنه كي لا يكون الفيئ دُولة أي متداولاً .[2]

و ورد في معجم أساس البلاغة لزمخشري:

1 بومنقاش الرحموني،محاضرات في التداولية، ص 6 .

2 ابن المنظور،لسان العرب،دارصادر لطباعة والنشر بيروت،ط1،السنة1863م،لبنان،ص327.

دَوَل:دالت له الدولة،ودالت الأيام بكذا،وأدال الله بني فلان من عدوهم :جعل الكرَّة لهم عليه،وعن الحجاج:إن الأرض ستُدال منا كما أدِلنا منها.وفي مثل "يُدال من البقاع كما يُدال من الرجال ".و أديل المؤمنون على المشركين يوم بدر،وأديل المشركون على المسلمين يوم أُحُد.

واستدلتُ من فلان لأدال منه ،و استدِل الأيام بين الناس مرة لهم و مرة عليهم،والدهر دُوَلٌ و عُقَبٌ ونُوَبٌ،وتداولوا الشيئ بينهم، والماشي يداول بين قدميه:يراوح بينهما .ونقول دَوَاليك أي دَالت لك الدولة كرَّة بعد كَرَّة، وفعلنا ذلك دَوَاليك بعضها في أثر بعض.[1]

و إنطلاقا من التعاريف اللغوية السابقة نلاحظ أنها لا تخرج عن الجذر اللغوي (دول) والتي تتمثل في التحول والدوران والتبدل والتغير.

ولقد وضع الباحث"**طه عبد الرحمان**" "**التداوليات**"مقابلا للمصطلح الأجنبي"**pragmatique**" سنة 1970.[2]

بيد أن الباحث الجزائري"**عبد المالك مرتاض**" يشك في ملائمةالمصدر "**تداولية**"للمصطلح الأجنبي ويقترح أن يكون"**التداول**" دون الياء الصناعية كي لايتم ترجمة مصطلحي **pragmatisme**و**pragmatique** بصيغة عربية واحدة،فيكون **التداول** للدلالة على **الأول**،أي" تداول اللغة" وتكون" **التداولية** " لدلالة على المفهوم **الثاني** المرتبط بالنزعة

1 الزمخشري،أساس البلاغة،تح محمد باسل عيون السود،ج1،منشورات دار الكتب العلمية بيروت،ط1998،1م،لبنان،ص303.
2 الأستاذ باديس لهويمل،(مجلة المخبر آبحاث في اللغة و الأدب الجزائري،التداولية والبلاغة العربية)،العدد السابع،سنة 2011،قسم الأداب واللغة العربية،كلية الاداب واللغات،جامعة محمد خيضر بسكرة،الجزائر،ص157.

المذهبية الفلسفية القائمة على مبدأ النفعية، وبذلك نضمن سلامة الإستخدام العربي في وصف المعان المتقاربة،وتقبل المصطلحات بالدقة اللازمة.[1]

و أما مصطلح **التداولية** في أصله الأجنبي "**pragmatique**" فإنّه يعود إلى الكلمة اللاتينية **PRAGMA**،ويعني العمل أو الفعل **Action** وقد تقلب المصطلح على مدلولات عدة، لينتقل استعماله إلى الميدان العلمي بداية من القرن 17م ،وصار يدل على كل ماله تطبيقات ذات ثمار عملية أو يفضي إليها .[2]

وهذا المعنى هو الذي قدم له "**ديوي**" في قاموس القرن Century Dictionary "1909" حيث وصل لكون **التداولية** هي النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتخذ في حدود الإعتبارات العملية أو الفرضية فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحد في حدود الإعتبارات النظرية التأملية الدقيقة، أو الإعتبارات الفكرية المجردة. بمعنى أن التداولية تطلق على مجموعة من المعارف والفلسفات التي ترى أن صحة الفكرة تعمد على ما تؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة في الحياة.[3]

ب-التداولية إصطلاحا:

1 الأستاذ باديس لهويمل،التداولية و البلاغة العربية، ص157.

2 المرجع نفسه، ص 157.

3 المرجع نفسه ،ص157-158.

يبدو مصطلح **التداولية PRAGMATIQUE** على درجة من الغموض، إذ يقترن به في اللغة الفرنسية، المعنيان الأتيان،محسوس وملائم للحقيقة، أما في الإنجليزية وهي التي كتبت بها أغلب النصوص **للتداولية** فإن كلمة **PRAGMATIQUE** تدل في الغالب على ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية وهكذا يبدو لأول وهلة أن الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي المسمى تداولية ضخم[1] وبالتالي التداولية تحمل معنى محسوس وملائم للحقيقة في اللغة الفرنسية ،وماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية في الانجليزية.

ولقد عرّف " **مسعود صحراوي**" في كتابه **التداولية** على أنها إيجاد القوانين الكلية للإستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي وتصير **التداولية** من ثمَ جديرة بأن تسمى علم الإستعمال اللغوي.[2]

والتداولية عند **محمود أحمد نحلة** تتمثل في دراسة جوانب السياق **aspects of contest** التي تشفر شكليا في تراكيب اللغة وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل **User pragmatics competence**.[3]

1 فيليب بلانشة ،التداولية من أوستين إلى غوفمان،دار الحوار لنشر والتوزيع،اللاذقية،ط1،سنة 2007،سوريا ،ص 14.

2 ينظر مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية ،دار الطليعة لطباعة والنشر،2005،لبنان ص16- 17.

3 ينظر محمود أحمد نحلة،أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية ،د.ط،2002م،مصر،ص12.

أما الباحث **الجيلالي دلاش** فيقول:<<إنه تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية ، في صلب أحاديثهم وخطاباتهم،كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث.>>[1]

أي الإهتمام بعناصر التخاطب من المتكلم ونواياه وحال السامع وظروفه والسياق.

ويعرف **صلاح فضل التداولية** بأنها: <<ذلك الفرع العلمي المتكون من مجموعة من العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة و وظائف الأقوال اللغوية و خصائصها من أجل إجراءات **التواصل** بشكل عام>> .[2]

و بالتالي ف **صلاح فضل** يربط الكلام بوظيفته الأساسية ألا وهي **التواصل.**

في حين نجد **طه عبد الرحمن** يربط بين اللغة ومتكلمها في تعريفه **لتداولية** :<< هي الدراسات التي تختصّ وإن أمكن بتفسير العلاقات التي تجمع بين **الدوال** الطبيعية و**مدلولتها** وبين **الدالين**>>.[3]

وبالتالي فالتداولية حسبه نظرية استعمالية تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها، ونظرية تخاطبية باعتبارها تعالج شروط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء استعمالهم للغة.

---

1 الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية،لطلبة معاهد اللغة العربية وأدابها،تر:محمد يحياتن،ديوان المطبوعات الجامعية،د ط ،د ت،الجزائر،ص1.

2 صلاح فضل،بلاغة الخطاب وعلم النص،المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب،دط،1992 ،الكويت،ص 10.

3 طه عبد الرحمن،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي بيروت،ط2 ،2000 م ،لبنان،ص 28.

لقد ذكرنا سابقا تعريفات **علماء العرب لتداولية** والأن نستعرض تعريفات **علماء الغرب لتداولية :**

يعرّف "**شارل موريس**" **C.MORRIS**التداولية كالتالي: << التداولية جزء من السيميائية التي تعلاج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات.>> أي تحديد المحيط (الظروف) التي يتم فيها إنتاج الملفوظ ، ويتمثل هذا المحيط في : المتكلم ،المتلقي ، الوضعية (الحالة) التبليغية.[1]

أما بالنسبة **لآن ماري ديلر A.M.DILLER وفرانسوا ريكاناتي F.RECANATI** ، فيعرفاها كالتالي : << التداولية هي استعمال اللغة في الخطاب ، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية>>. فهي تهتم ببعض الأشكال اللسانية ، التي لا يتحدد معناها، إلا من خلال استعمالها.[2]

والتداولية عند أوستين AUSTIN جزء علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هي جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر ، هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر.فالتداولية تدرس الاتصال اللغوي في

1 أ. بوعياد، محاضرات في تحليل الخطاب ، ص 11 .

2 نفس المرجع ، ص 11 .

إطاره الاجتماعي، بالكشف عن الشروط والمعطيات التي تسهم في إنتاج الفعل اللغوي من جهة ، كما تبحث في فاعليته و آثاره العملية من جهة أخرى.[1]

ويظهر تعريف اخر عند" **فرانسيس جاك**"**(Francis jacks)** إذ يقول: << تتطرق **التداولية** إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا>>.[2] و بالتالي فالتداولية تنظر إلى اللغة من خلال إستعمالها وذلك من خلال الخطاب و التواصل في المجتمع أي السياق الذي وردت فيه.

ويربط" **منقونو**"**MAIGUENEAU**" الدراسة **التداولية** ب**السياق** فهو يرى أنّ: << المكون **التداولي** يعالج وصف الملفوظات في **سياقاتها**>>. [3]حيث تسعى **التداولية** إلى تحديد قصد المتكلم من خلال **سياق** محدد.

ولقد اقترح **(ليفنسون)** في كتابه **pragmatiques** مجموعة من التعاريف حاول من خلالها أن يحدد مفهوم **التداولية** نذكرمنها:

-**التداولية** هي دراسة العلاقات بين **اللغة** و**السياق**.

1 د.خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية ، ص 18 .

2 فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية،تر، سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي،ط1 ،1988 ،الرباط، ، ص 8 .

3 دومينيك منقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب،تر،محمد يحياتن،منشورات الإختلاف، الطبعة الأولى،2005 2006، ص98.

- **التداولية** هي دراسة لظواهربنية **الخطاب اللغوي** من تضمينات واقتضاءات أو ما يسمى ب**أفعال الكلام.**

-**التداولية** هي دراسة كل مظاهر **المعنى** من غير فصلها عن نظرية **الدلالة.**[1] فالتداولية إذن تدرس اللغة من خلال استعملها ضمن سياق معين دون إهمالها للمعنى وعلاقته بظروف الكلام فهي تهتم بالمتخاطبين ومقاصدهم والسياق الذي ترد فيه مع مراعاة المقام،وكل هذه العناصر مترابطة ومتداخلة.

وبالتالي نلاحظ من خلال هذه **التعريفات** التي قدمناها أنفاً **لتداولية** أنه لا يوجدتعريف شامل وموحد لها ، وذلك راجع لتعدد الإتجاهات و التخصصات التي لها خلفيات معرفية متنوعة ، مما يؤدي إلى صعوبة وضع تعريف موحد لتداولية.

2-النشأة والتطور:

يعود الفضل في استحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف "تشارلز ساندرس بيرس"1839/1914(CH.S.PEIRSE) حين ما نشر مقالتين في مجلة "ميتافيزقيا"،سنة 1978و1979بعنوان"كيف يمكن تثبيت الإعتقاد؟ " "ومنطلق العلم:كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ "حيث أكد على أن الفكرفي طبيعته إبداع لعادات فعلية،ذلك أنه مقرون بقيمتين:متى يتم الفعل؟

1 إدريس مقبول،الأسس الإيستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سبويه،جدار للكتاب العالمي ،عالم الكتب الحديث،اربد،دط،2008،الأردن،ص 264.

وكيف يتم؟ فيكون مقترناً بالإدراك في حالته الأولى وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة ،ليصل إلى أن الممارسة والتّطبيق والفعل،هي تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار.[1]

ويرجع أول استعمال لمصطلح التداولية إلى الفيلسوف" تشارلز موريس"

"CHARLES WILIAM MOURIS" سنة 1938،حيث قدم لها تعريفا في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات،وذلك في مقال له ركز فيه على مختلف التخصصات التي تعالج اللغة (التركيب والدلالة والتداولية)،ليصل إلى أنّ << التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات>>،وهو تعريف يتجاوز المجال اللساني ليشمل غيره من المجلات غير اللسانية (المجال السيميائي).[2]

تشكل التداولية درسا جديدا وغزيرا لم يمتلك بعد حدودا واضحة،انبثق من التفكير الفلسفي في اللغة بيد أنه سرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدوات تحليله، وبخاصة التداولية اللسانية موضوع حديثا،إن اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد" سقراط"،ثم تبعه"أرسطو" والرواقيون من بعده،بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية

1 د.خديجة بوخشة،محاضرات في اللسانيات التداولية،ص19.

2 نفس المرجع،ص19.

للفلسفة إلاَّ على يد "باركلي" تغذيها طائفة من العلوم على رأسها الفلسفة واللسانيات والأنتروبولوجيا وعلم النفس وعلم الإجتماع.[1]

فالتداولية اللسانية اتّجاه جديد في دراسة اللغة يبحث عن حلّ لعديد من المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات ولم تهتم بها نحو (الفونولوجيا،التركيب،الدلالة) ولذلك يعترف KARNAB، أن التداولية درس غزير وجديد،بل يذهب إلى أكتر من هذا بقوله: إنهاقاعدة اللسانيات>>. كما أنّ اللسانيات التداولية تشكل محاولة جادّة للإجابة عن جملة من الأسئلة تفرض نفسها على الباحث والبحث العلمي عامة ،و عجزت اللسانيات عن الإجابة عنها،متوسِّلة في سبيل ذلك عديدا من العلوم الإنسانية والإجتماعية ،وهي أسئلة من قبيل:ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟من يتكلم ومع من يتكلم؟من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيئا آخر غير الذي كنا نريدقوله ؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى العرفي لقصد ما؟.[2]

ولم تصبح التداولية مجالا يعتدُّ به في الدرس اللساني إلا في العقد السابع من القرن العشرين ،بعد أن طورها فلاسفة اللغة المتقدمين إلى جامعة أوكسفورد OXFORD ،جون أوستينJ.AUSTINE وجون سيرل J.SEARL وبول غرايس PAUL GRISE،وهم من مدرسة فلسفة اللغةالطبيعيةLANGAGE NATUREL في مقابل مدرسة اللغة الشكلية(الصورية)

1 المرجع السابق ، ص19- 20.

2 المرجع السابق ، ص19- 20.

FORMAL LANGUAGE وكانو يهدفون إلى إيجاد طريقة لتوصيل معنى اللغة الإنسانية من خلال ابلاغ مرسل رسالة،إلى مستقبل يفسرها فكان عملهم من صميم البحث التداولي.[1]

وكانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام التي ظهرت مع جون أوستين J. AUSTIN وتطورت على يد " جون سيرل" (J.SEARLE) وبعض فلاسفة اللغة من بعده،لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تشكل مجتمعه ما يعرف باللسانيات التداولية (أفعال الكلام،الإستلزام التخاطبي،الإشاريات،...).[2]

والحق أن "جون أوستين"J.AUSTIN"حينما ألقى محاضرات ويليام جيمس عام 1955 لم يكن الهدف إلى وضع اختصاص جديد للسانيات أو فرع جديد لها،وإنما كان يرمي إلى وضع

اختصاص فلسفي جديد هو (فلسفة اللغة) بيد أن تلك المحاضرات صارت فيما بعد بوتقة للسانيات التداولية وإنطلق أوستين من ملاحظة بسيطة مفادها أن كثيرا من الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب <<لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره>>،فجملة من قبيل"أمرك بالصمت" لا تصف واقعا بل تسعى لتغيير حالة الضجيج إلى الصمت،وبناء على هذه الملاحظات قسم " أوستين " "AUSTINE" الجمل إلى : جمل وصفية يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب،وجمل إنشائية لا ينطبق عليها ذللك الحكم ، وتقابل في الثقافة اللغوية العربية الجمل

1 الأستاذ باديس لهويمل،التداولية والبلاغة العر بية، ص160.

2 نفس المرجع ، ص 160.

الخبرية وقد شكلت أفكار وملاحظات" أوستين " "AUSTINE"،بداية موقفه لنظرية أفعال الكلام،أول نظرية تداولية لسانية،ثم سرعان ما فتئت تتطور شيئا فشيئا مع فلاسفة اللغة بعد "أوستين "خاصة تلميذه "جون سيرل" "J.SEARLE " لتظهر بعدها نظريات أخرى (القصدية والملائمة ، والإستلزام التخاطبي والحجاج...) شكلت مجتمعه ما يعرف باللسانيات التداولية.[1]

ولقد عرفت فكرة التداولية من قبل العلماء العرب في العصورالقديمة بمفهومها العلمي ،وناقشوها في كثير ممّا وصلنا من تراث غني،على الرغم من عدم تأصيلهم لمصطلح التداولية بلفظه،فقد توافرو على كل ما تهتم به من مظاهر لغوية تنبع من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب الفعلي،وكانوا قد ترجموا العديد من المباحث المتصلة بهذا الموضوع في بابيّ الخبر و الإنشاء ،ولم يعتنِ بهذا الموضوع اللغويون من النحاة،وعلماء البلاغة فحسب،بل اعتنى بها كل من علماء المنطق والفلاسفة والأصوليون والفقهاء عناية شديدة ،وقد ورد التمثيل للتداولية في النحو بإشارات مقتضبة عند الحديث عن الحذف والتوكيد مثلا،وذلك والجمل الإنشائية، مثلما نجدها عند علماء النحو والبلاغة،وكذا علماء التفسير وأصول الفقه في أبحاثهم.[2]

1 المرجع السابق ص161.

2 ا لمرجع السابق ص 160.

اعتمادا على السياق نفسه بين طرفي الخطاب،وكذلك وردت عدد من الإشارات في المعجمات التي ترصد المجاز في اللغة مثل أساس البلاغة **للزمخشري**(538هـ)، إذ كانت البلاغة هي ميدانها الواسع لاسيما (علم البيان)،مثل: المجاز بأنواعه والتشبيه والكناية والتقديم والتأخير،ومن أبرز علماء العربية الذين تناولوا الموضوعات المذكورة آنفا بالدراسة والتحليل **عبد القاهر الجرجاني**(471هـ) **وأبو يعقوب السكاكي**(626هـ)إذ تناول **الجرجاني** في نظرية النظم مخالفة الأصل،وعقد فصلاً (في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره). أما **السكاكي** فقد انمازت أبحاثه في خروج بعض أفعال اللغة من(قانون الطلب) من المعنى الأصلي إلى معاني أخرى مثل:(الإستفهام، والأمر ،والنهي، والنداء) وقد تناول موضوعات الكتابة والمجاز بتفريعاتها.[1]

وهذا **الرازي**(606هـ)في معرض حديثه عن المجاز يقول:(إن العدول عن الحقيقة إلى المجاز:إمّا لأجل اللفظ ،أو المعنى،أولهما... وأمّا الذي يكون لأجل المعنى ـفقد تترك الحقيقة إلى المجاز، لأجل التعظيم والتحقير،ولزيادة البيان،ولتلطيف الكلام :أما التعظيم- فكما يُقال:سلامٌ على المجلس العالي ،فإنه يترك الحقيقة ـ ههنا ـ لأجل ـ الإجلال ، ...وأما زيادة البيان- فقد تكون لتقوية حال المذكور، وقد تكون لتقوية الذِكر:أما الأول- فكقولهم:رأيتُ أسداً... فأنه لو قال :رأيتُ إنساناً يشبه الأسد في الشجاعة،لم يكن في البلاغة كما إذ قال: رأيتُ أسداً... وأمّاالثاني –

1 هديل حسن عباس حسن،التداولية النشأة والتطور،إشراف الأستاذ المساعد الدكتورأحمد عاشور جعاز،جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية ، ص6 – 7.

فهو المجاز الذي يذكر للتأكد. وأما تلطيف الكلام فهو :أن النفس لو وقفت على تمام المفصود لم يبق لها شوق إليه، فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون البعض – فإنّ القدر المعلوم يشوقها إلى تحصيل العلم بما ليس بمعلوم، فيحصل لها بسبب علمها بالقدر الذي علمته، وبسبب حرمانها من الباقي – ألمٌ ، فتحصل هناك لذاتٌ وآلام متعاقبة، واللذة إذا حصلت عقيب الألم كانت أقوى،وشعور النفس بها أتمّ).[1]

وعلى الرغم من كل الجهود والإشارات التي وجدت في كتب القدامى إلا أنهم لم يقصدوا إلى وضع علم البراغماتية،إذ لا يمكن التحدث عن البلاغة العربية ونظرية المقام بالطريقة نفسها التي يمكننا التحدث بها عن البراغماتية،إذ التاريخ الحقيقي لعلوم العربية هو تاريخ قراءتها فقط،أمّا البراغماتية لم تقم على ذلك،ودليل ذلك أن مصطلح المقام استعمل بلاغيا ونحويا وأدبيا ونقديا،ولم يقرأ براغماتيا،ذلك لأن العلماء العرب القدامى والقرائ كانوا لا يمتلكون هذا البعد البراغماتي،على الرغم من إدراكهم بعضاً من قوانين البرغماتية.[2]

ومن خلال إسهامات هؤلاء العلماء سوا ء تعلق الأمر بعلماء الغرب أو علماء العرب في محاولتهم لتأسيس المقاربة التداولية أصبح لهذه الأخيرة مبادئ وقواعد تساهم في الحصول على المعنى ،والتي سأطترق إليها في المبحث الثاني.

1 المرجع السابق ، ص7.

2 المرجع السابق ، ص7.

3- أسس التداولية:

تقوم التداولية على مفاهيم ثلاثة يمثل تحديدها أساس الدرس التداولي لوجودها متضمنة القراءة التداولية لكل الخطابات وهي :

أ-**مفهوم الفعل:** يتجاوز مفهوم الفعل في التداولية مفهوم تمثيل العالم إنتاج ألفظ دالة على المعاني، إلى القيام بفعل وممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة،هذا المفهوم الذي أسس لنظرية أفعال الكلام،وقد قسم أوستين الأفعال إلى إنجازية actes performatifs وتقريرية أو واصفة actes constatifes،بحيث يقترن في الأولى الإنجاز بالتلفظ نحو بعت ،اعتقدت ...

فالعمل هنا دلالة اللفظ، وفي الثانية تصف حالة عالم مستقل عن التلفظ نحو اقتربت الساعة ،إلى جانب ذلك فقد قسم سيرل الأفعال الإنجازية إلى خمسة أصناف (التأكيدات، الأوامر ،الالتزامات ،التصريحات ،الإدلاءات) وهو تقسيم يصب في خانة المفهوم التداولي للفعل أو الممارسة الفعلية للغة التي ترتبط دلالتها الفعلية بالحال أو السياق.[1]

ب- مفهوم السياق: يعني الموقف الفعلي توظف فيه الملفوظات، والمتضمن بدوره لكل ما نحتاجه لفهم وتقيم ما يقال.

ج-مفهوم الكفاءة:ويعتبر مفهوم الفاءة إشارة اعتماد التداولية لاستعمال اللغة في السياق أو هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق وبناءً على ذلك تتحدد كفاءة وميزات

1 عموري السعيد،محاضرة في مناهج النقد المعاصر،تخصص نقد وتحليل الخطاب،جامعة بجاية، ص 5.

المتكلمين، إنّ سيرورة العمل التخاطبي للوصول إلى المعنى يتحدد عبر سيرورة خطية تنطلق من المتكلم الذي يحاول إنجاح خطابه ،مرورا بمحتوى الرسالة وما يستلزمها من خصائص تضمن نجاح التواصل وصولا إلى احتياجات السامعالذي يكيّف الرسالة وفق احتياجاته، وإذا كانت التداولية تعنى بالجانب التواصلي وتحاول–كما يرى بيرس–أن تكون منهجاً من أجل تقرير دلالة الألفاظ،فإنها تعنى أساسا في إجراءتها التطبيقية (بفهم الجملة الواحدة من الكلام فتذهب في البحث عن طبيعة وضعها انطلاقا من العناصر المعجمية إلى المؤشرات النظمية أو المعطيات السياقية).[1]

4- مهام التداولية:

تتلخص مهام التداولية في :

–دراسة "استعمال اللغة "،التي لا تدرس "البنية اللغوية" ذاتها ،ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها "كلاما محددا " صادرا من "متكلم محدَّد "وموجَّها إلى "مخاطب محدد "بـــ "لفظ محدد "في" مقام تواصلي محدد" لتحقيق "غرض تواصلي محدد"،– شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات، –بيان أسباب أفضلية التواصل

1 المرجع السابق ص 6.

غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر، -شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيويةالصرف في معالجة الملفوظات.[1]

وعليه،فإن بعض الدارسين حسب د.مسعود صحراوي يعولون على التداولية في الإجابة عن مجموعة من الأسئلة من أمثلة ذلك:

-كيف نصف الاستدلالات في عملية التواصل؟

-ماهو نموذج التواصل الأمثل؟

-ما هي العلاقة بين الأنشطة الإنسانية والمتمثلة في اللغة والتواصل والإدراك؟

-ما هي العلاقة بين علم اللغة وعلم التواصل وعلم النفس المعرفي؟ [2]

5-الدرجات الثلاثة لتداولية:

حاول هنسن HANSSON التوحيد بين مختلف أجزاء التداولية من خلال هذه الدرجات التي تحدّد فكرة المرور التدريجي من مستوى إلى آخر، ترتكز التداولية في تحليل الإنتاج اللغوي على السياق contexte وهو <<مجمل الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبارلدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والاستعمال اللساني ...وهي المعطيات المشتركة بين

1 د مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،دار الطليعة بيروت ،ط1،السنة 2005،لبنان، ص 26- 27.

2 ينظر المرجع نفسه، ص27.

المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعارف الشائعة بينهما على حد السواء>> ومظاهر السيّاق هذه يتم وضعها في الاعتبار بالنسبة إلى كل درجة،كما أن السيّاق يتعقد من درجة إلى أخرى.[1]

ومعظم النظريات التي انبثقت عن التداولية ترتكز على السياق حيث<<أضحى هذا التصور الخطوة الأولى في تنظيم وهيكلة النظريات التداولية وقد أفضى ذلك إلى ظهور ثلاثة تيارات مختلفة ومتداخلة في الوقت نفسه تشكل النسق العام لما يسمى بنظريات التداولية>>،وهذه الدرجات هي:

1-تداولية الدرجة الأولى:دراسة الرموزالإشارية:

وتتعلق بالعلامات الإشارية من مثل (أنا ،هنا،الآن) التي تتجلى في الأقوال وتتضح مرجعيتها في سياق الحديث،ولا تتحدد إحالات هذه الرموز إلا من خلال السياق الذي تُوظَّف فيه وتتضح أكثر في إطارالعلاقة بين المتخاطبين والزمان والمكان،فالضمائر وإشارات الزمان والمكان تختلف إحالتها حسب ظروف استعمالها.[2]

2-تداولية الدرجة الثانية: المعنى الحرفي والمعنى التواصلي:

1 خديجة بوخشة،محاضرات في اللسانيات التداولية،ص 22.

2 المرجع نفسه ،ص22.

وتدرس الدلالة الضمنية للقول بتجاوز المعنى الحرفي، وفي هذا المستوى يتم توسيع مفهوم السياق<< من سياق الموضعة وكشف الإحالات والمنفذين إلى السياق المتعارف عليه عن المخاطبين ك "حدس" وكما في سياق الموضعة يقع التدخل لرفع الإبهامات في الجمل كذلك، حتى وهي لا تشتمل على إشاريات وتعبّر عن قضايا مختلفة بحسب السياق>> فقد يكون معنى الجملة مبهما بالرغم من عدم احتوائها على إشاريات، تسعى تداولية الدرجة الثانية إلى معرفة كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي،والنظريات التي تتناول هذا النمط بالدراسة هي<<نظرية قوانين الخطاب وأحكام أو مسلمات المحادثة-حسب التسمية- وما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق والأقوال المضمرة والحجاج،أمّا السيّاق في هذا النمط،فهو مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون>>.و للكشف عن مقصدية العبارة اللغوية ينبغي تجاوز المعنى الحرفي والبحث عمّا يتضمنه القول من معنى غير مباشر.[1]

3-تداولية الدرجة الثالثة:نظرية الأفعال الكلامية:

وتشتمل الدراسات التي تضم نظريات الأفعال الكلامية و<<تنطلق من مسلمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية>>. وتختلف هذه

1 خديجة بوخشة،محاضرات في اللسانيات التداولية، ص23.

الأبعاد حسب الأغراض التي تتحقق من الإنجاز اللغوي performative ،يتعلق الأمر بمعرفة ما يتم إنجازه عبر استعمال اللغة في وضعية تواضلية معينة.[1]

ونستنتج من خلال ما سبق أن لتداولية أهمية كبيرة،فهي مجال واسع يهتم بالخطاب والتواصل بشكل عام،كما أن التداولية تشمل على عدد كبير من المحاور والآليات حيث اكتشفت الكثير من النظريات ومن أمثلة ذلك النظرية الحجاجية،النظرية التلفظية ونظرية الملائمة وغيرها.[2]

6-التصورات الخاطئة عن التداولية:

لقد شاعت الكثير من التصورات الخاطئة حول التداولية ولقد وضح الدكتور **مسعود صحراوي** أن هذه الأخيرة ليست أي شيئ مما يلي:

1-إنها ليست سلةً لمهملات اللسانيات ،بحيث تعتبر كل ظاهرة عجزت اللسانيات عن حلها مجالاً للبحث التداولي ،وهذا يقتضي أن الظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهملة ولا متروكة بالضرورة.ومن ثمَّ فهي تقوم بإزالة الغموض عن عناصرالتواصل اللغوي ،وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات .وهذه القضايا ليست من اهتمامات اللسانيات الصريحة،بل هي تشبه أن تكون مرحلة وسيطة بين المعارف اللغوية والمعارف الموسوعية .والتداولية تُستمد من

1 المرجع السابق ،ص 23.

2 ينظر المرجع السابق، ص 23.

رافدين: **الرافد المعرفي** كما تقدمه بعض المباحث في علم النفس المعرفي :الاستدلالات ،الاعتقادات والنوايا؛**والرافد التواصلي:** أغراض المتكلمين واهتماماتهم ،ورغباتهم،

2- وليست مكوّناً من مكوّنات اللسانيات البنيوية ، لأن التداولية ليست هي المرحلة الأخيرة للتحليل اللساني، 3- وليست نظريةً للخطاب بصورة تعتبر التداولية نظرية لتحليل الخطاب ، كما أن اللسانيات نظرية للجملة ، فتقابلها أو تكملها .ذلك أن لسانيات الخطاب تقتضي بنية خطابية وقواعد خطابية ،ومن ثَمَّ تكون الجملة منتجا ً مركباً من القواعد التركيبية واللفظية التي تنشئها، بما يعني نوعاً من الانصهار والذوبان.[1]

ولقد أجمل الدكتور **مسعود صحراوي** أبرز الأنشطة التداولية فيما يلي :

-"**دراسة استعمال اللغة**" عوضاً عن" دراسة اللغة" فاللسانيات ،كما هو معلوم ،تتفرَّغ للدراسة الثانية أي لدراسة المستويات الصوتية والتركيبية وربما الدلالية ،فقد تحوّلت مع البنيويين إلى علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة،يؤمن بكيانية البنية اللغوية في مستواها الصوري المجرد ،في حين أن دراسة استعمال اللغة لا تنحصرضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيق،وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.[2]

1 د،مسعود صحراوي ،التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي ، ص 27 .28

2 المرجع نفسه ،ص 28.

-دراسة الآليات المعرفية (المركزية) التي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها ،فالتداولية تقيم روابط وشيجة بين اللغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي،

دراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي ،فتقيم،من ثَمَّ،روابط وشيجة بين علمَيْ اللغة والتواصل.[1]

7- مقاربات الدرس التداولي وأثرها في البحث اللساني:

مرَّ في البحث أنَّه قبل ظهور التداولية توزعت الدراسات اللغوية في القرن العشرين بين مقاربتين لدراسة علامات اللغة: المقاربة الدلالية التي تعالج علاقة الكلمات والجمل ومعانيها بالمرجع والواقع ،والمقاربة النحوية التي تدرس العلاقات الشكلية بين العلامات،وإذا كان من الثابت أن البحث التداولي وليد الثقافة الإنجلوساكسونية،فقد تطورت في الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا بسبب الدور الذي اضطلعت به الاتجاهات التحليلية في الفلسفة من جهة ، ومن جهة أخرى بسبب ما خلفته النظرية التشومسكية – التوليدية- في نموذجها من إخفاق ،نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب ،مما أدى إلى التفكير في البعدين الدلالي والتداولي .[2]

وإذا كان اللسانيون قد ركزوا قبل التداولية على القواعد الشكلية وميزوها عن الاستخدام اليومي العادي، لأنهم رأوا أن هذا الجانب قد لايخضع إلى المنهجية الصارمة و بالتالي

1 المرجع السابق،ص28.

2 عماري محمد،مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي -نظرية الخبر والإنشاء أنموذجا- ،(أطروحة دكتوراه ،تخصص علوم اللغة)، قسم اللغة والأدب العربي،كلية اللغة والأدب العربي والفنون،جامعة باتنة،الجزائر،2016 2017،ص 39.

لا يؤسس موضوعا للدرس اللساني ، فإنَّ المقاربة التداولية لموضوع اللغة، تسجل الانعطاف الحقيقي للدرس اللساني ،فإذا كان موضوع اللسانيات عند(سوسير) يتحدد بالنظر إلى اللغة ،بوصفها نظاما نحويا موجودا بالقوة في كل دماغ و بأن الكلام ماهو إلا مجرد تأدية فردية لقوانين ذلك النظام،ومن هنا اعتبر اللغة موضوعا كليا للسانيات ينطلق منه منهج الدراسة من الوهلة الأولى، ويتخذه معيارا للظواهر اللغوية جميعها ، و أبعد الكلام من جوهر الدرس اللساني،واعتبره تابعا للغة وليس غاية لعلم اللسان في ذاته ،لكنه ظل يعتقد أن دراسة ظواهره ضرورية لدراسة اللغة بوصفه أداة هذه الدراسة ووسيلتها التي تتحقق بها شروط المنهج العلمي.[1]

ولكن مع بروز نزعة اللسانيات التوليدية والتحويلية تغيرت وجهة النظر المنهجية تجاه موضوع اللسانيات (اللغة) ،وراح التوليديون ينتقدون وجهة النظر البنيوية ويحكمون عليها بأنها غير كافية لتفسير وتعليل ظاهرة التبليغ اللغوي في جملتها ؛ لأنها تخص مظهر اللغة القراري (القواعد المستقرة في أدمغة مستعملي اللغة) الذي يتمثل في الكلام بعد أن يحدثه المتكلم،ولكونها تحصر اللغة في نطاق آلي ضيق ،وتنظر إليها بصفتها قوانين شكلية جامدة ،وتنظر إلى المتكلم إزاءها على أنه فاعل سلبي.[2]

1 المرجع السابق ، ص 39 – 40 .

2 المرجع السابق، ص40.

أمّا عن مقاربة اللسانيات التداولية،فهي تنظر إلى موضوع اللسانيات وتسعى في تحديده منطلقه – مثلما فعل التوليديون–من نقدها لمنهج الدراسة البنوية الذي ترى أنه يقوم على تصوير تقليصي RÉDUCTIONNISTEللغة لا يراعي في دراستها سوى القواعد الشكلية الرابطة بين العلامات فحسب ،وفي هذا تقليص – في نظرالتداوليون –من حجم اللغة الحقيقي ومن فاعليتها. من هنا فهم يرون أنَّ الدراسة البنزية تركت في اللغة فراغا هائلا كان ينبغي دراسته والاهتمام به. ومن منطلق ملاحظتهم هذا الفراغ الذي ينظر التداوليون ،من خلاله،إلى اللغة من حيث هي خطاب منجز في زمن معين محسوس ومكان معين محسوس ،سعوا إلى وضع منهجهم اللساني بانين أسسه من صميم الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الإجرائية الهامة مثل:من المتكلم؟وإلى من يتكلم؟ وما الفائدة المرجوة من الكلام ؟وما هي الظروف المحيط بإنتاج الكلام ؟وغيرها،

وهذا التوجّه الجديد أدى إلى دمج نظرية الدلالة في صورة أو أخرى في علم اللغة التحويلي التوليدي ،ومثل مظهر واحد فقط من مظاهر الاهتمام الأكبر بعلم الدلالة من طرف كل اللغويين تقريبا في السنوات الأخيرة ،وهذا الاهتمام متباين تباينا واضحا عن الممارسة الأمريكية المقبولة على الأقل في العهد البلومفيلدي السابق.[1]

ولقد التقت اللسانيات بالتداولية ،لأن الدلاليين التوليدين قد أخذوا مبدأ من مبادئ (أوستين)و (سيرل) في نظرية الأعمال اللغوية ،وهو فرضية الفعل الإنشائي المتصدر للجملة

1 المرجع السابق ص 40.

لتجاوز ما رأوه نقصا في المنوال التوليدي ،حيث اختزل الدلاليون التوليديون البنية النحوية في البنية الدلالية المصدرة بفعل إنشائي دال على القوة المقصودة بالقول.[1]

1 المرجع السابق ص42.

المبحث الثاني:مبادئ التداولية

-توطئة:

تضم التَّداولية مجموعة من المفاهيم الإجرائية والقضايا تمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة ،فتسهم في كشف المعنى بأدق صورة ممكنة ،وأكثرها ضبطا،يقول الباحث "صلاح إسماعيل" :<<علم الاستعمال إذن دراسة لغوية تركز على المستعملين للغة،وسياق استعمالها في عملية التفسير اللغوي ،بجوانبها المتنوعة وينقسم هذا العلم إلى عدة فروع، يبحث الفرع الأول :كيف يحدد السياق المعنى القضوي الواحد بالنسبة لجملة في مناسبة معينة لاستعمال هذه الجملة ، ونظرية الفعل الكلامي SPEECH THEARY هي الفرع الثاني من علم الاستعمال ، والفرع الثالث من علم الاستعمال هو نظرية التخاطب THEARY OF CONVERSATION ،أو نظرية الإقتضاء THEARY OF AMPLIATEUR>>.[1]

فالتداولية علم تواصلي يقوم على مجموعة من المفاهيم والمبادئ أهمها أفعال الكلام ، متضمنات القول ،الإشاريات ،بلإضافة إلى الحجاج ، والخطاب ،و القصدية والسياق، وهي كالتالي:

-مبادئ التداولية:

1الإشاريات:DEIXIS:

1 الأستاذ باديس لهويمل ،التداولية والبلاغة العربية ،ص 161 – 162.

في كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي يستخدم فيه ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه، فإذا قرأت جملة مقتطعة من سياقها مثل:

سوف يقومون بهذا العمل غدا ،لأنهم ليسوا هنا الأن، وجدتها شديدة الغموض لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتما دا تاما على السياق المادي الذي قيلت فيه ومعرفة المرجعREFERENCE الذي تحيل إليه ،وهذه العناصر هي واو الجماعة وضمير جمع الغائبين هم واسم الإشارة هذا ،وظرفا الزمان غدا ،والأن ،وظرف المكان هنا،ولا يتضح معنى هذه الجملة إلا إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر ، ومثل ذلك أن تجد إعلانا غير مؤرخ يقول :البيع بالمزاد العلني يوم الخميس فلا تعرف عند ئذ أي يوم من أيام الخميس يكون ،وهل انقضى وقته أو لم يزل ،ولكي يكون معناه مفهوما فلابد من معرفة ما يشير إليه بتحديد زمانه بالقياس إلى زمان المتكلم ،ومثل هذه العناصر تسمى العناصر الإشاريةDEICTICS أو الإشاريات اختصارا،ويؤثر فلاسفة اللغة أن يستخدموا للدلالة عليها المصطلح INDEXICAIEX PRESSIONS أو INDEXICAIS اختصارا،وكان بيرس أول واضع له.[1]

ويلفت لفنسون إلى أن التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين النظرين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه وتظهر أهميتها البالغة حيث يغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض و يستغلق الفهم ،من هنا كانت النظريات الدلالية

1 محمد أحمد نحلة،أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،د ط،2002م ،مصر،ص 15 16.

الشكلية عاجزة عن معالجة هذه الإشاريات وقد أفضى هذا إلى ظهور ما يسمى علم الدلالة المقاميSEMANTICS SITUATIONAL على النحو الذي وجدناه عند باروايز و يرى BARWISE E PERRY (سنة 1983) حيث بذلت محاولات جادة لإدخال الجوانب السياقية في التفسير الدلالي فأصبحت الإشاريات مجالا مشتركا بين علم الدلالة والتداولية، و إن كان بعض الباحثين لا يزالون يرونها أدخل في التداولية منها في علم الدلالة. [1]

و أغلب الباحثين يتفقون على أن الإشاريات خمسة أنواع:إشاريات شخصية، وإشاريات زمانية ، و إشاريات مكانية ، وإشاريات اجتماعية و إشاريات خطابية أو نصية ، و اقتصر بعضهم على الثلاثة الأولى ، وبعضهم على الأربعة الأخر.[2]

أ.الإشاريات الشخصية:

وتتمثل في العناصر الدالة على شخص وهي ضمائر الحاضر الدالة على المتكلم وحده مثل :أنا أو المتكلم ومعه غيره مثل: نحن ، بالإضافة إلى ضمائر المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا أو مذكرا أو مؤنثا ، وتعتبر ضمائر الحاضر دائما عناصر إشارية لأنها تعتمد دائما على السياق الذي تستخدم فيه.[3]

1 المرجع السابق ، ص16 -17.

2 المرجع السابق، ص 17.

3 ينظر :محمد أحمد نحلة،أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص17- 18.

ب.الإشاريات الزمانية:

ويقصد بها الكلمات التي تدل على الزمان والتي يحددها السياق قياسا على زمن المتكلم والذي يطلق عليه مركز الإشارة الزمانية وإن لم يعرف هذا الأخير يلتبس الأمر على القارئ أو السامع، ومثال ذلك قولك:بعد أسبوع يختلف مرجعها إذا قلت اليوم أو بعد شهر أو بعد سنة ،وأيضا إذا قلت نلتقي الساعة العاشرة ، فزمان التكلم وسياقه هما اللذان يحددان المقصود بالساعة العاشرة صباحا أو مساءا من هذا اليوم أو من اليوم الذي يليه،وأيضا زمن الفعل "نلتقي"ينفي أن يكون اللقاء قد حدث فعلا ،بل يصرف زمن اللقاء إلى زمن لم يمض بعد ،ومثال ذلك أيضا ، أمس، غدا، الأن ،الأسبوع...إلخ كلها لا يتضح معناها إلا بالإشارة إلى زمان بعينه بالقياس إلى مركز الإشارة الزمانية.[1]

ج.الإشاريات المكانية:

وهي عناصر تمكننا من معرفة مكان المتكلم وقت التكلم ،أو بمعرفة مكان أخر معروف للمخاطب أو السامع ولتحديد المكان أثر كبير في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة،ومن أكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي كلمات الإشارة ،مثل:هذا ،ذاك ،كذلك،هنا ،هناك، هما . وأيضا ظروف المكان مثل فوق، تحت ،أمام ، خلف...إلخ. كلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحددإلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه ،كما يلفت بعض الباحثين إلى أن عناصر

1 ينظر :المرجع السابق ،ص 19- 20.

إشارة المكان يمكن أن تنتقل للإشارة إلى ما يسمونه الإشارة الوجدانية وهو قريب بما أسماه علماء المعاني التحقير بالقرب نحو قوله تعالى {أهذا الذي يذكر آلهتكم} والتعظيم بالبعد كقوله جل وعز :{ ألم.ذلك الكتاب }.[1]

د.إشاريات الخطاب:

وفي هذه الإشاريات يمكن أن تستعار إشاريات الزمان أوالمكان لتستخدم إشاريات للخطاب مثال:الأسبوع الماضي يمكن أن يقال :الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق كما يمكن أن يقال:هذا النص للإشارة إلى نص قريب أو تلك القصة للإشارة إلى قصة بعد بها القول،وهناك إشاريات للحطاب تعد من خواصه وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم فقد يتحير في ترجيح رأي على رأي في مناقشة أمر فيقول: ومهما يكن من أمر ،أو يحتاج إلى إستدراك كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم لكن أو بل...إلخ.وهذه كلها إشاريات خطابية خالصة لا تزال في حاجة إلى دراسة جوانبها و استخداماتها.[2]

ه.الإشاريات الإجتماعية:

وهي ألفاظ تشير إلى العلاقة الإجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو ألفة و محبة،ومثال ذلك استخدام VOUSفي اللغة العربية للمفرد المخاطب تبجيلا له

1 ينظر: المرجع السابق ،ص 21 -22 - 23.

2 ينظر:المرجع السابق،ص 24.

وأنتم في اللغة العربية للمفرد المخاطب ونحن للمفرد المعظم لنفسه كما شمل أيضا الألقاب مثل فخامةالرئيس، فضيلة الشيخ...إلخ.وأيضا قول السيد ،السيدة،الأنسة،حضرتك،سيدتك...إلخ

كما أن الإشاريات الإجتماعية تختلف من طبقة إلى أخرى ومثال ذلك في اللغة العربية استعمال حامل وحبلى، مرحاض ودورة مياه،حرمته وزوجته وامرأته.[1]

2. الفعل الكلامي أو الأفعال الكلامية:SPEECH ACT:

أصبح مفهوم الفعل الكلامي SPEECH ACT نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية،وفحواه أنه كلٌ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلا عن ذلك ،يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية ACTES LOCUTOIRES لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والوعد والوعيد...إلخ). وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا ، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب ، اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما ،هذا وقد توصل أوستين في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم " الفعل الكلامي"ACTE DE DISCOURS INTÉGRAL "

إلى ثلاثة "أفعال فرعية"،على النحو الأتي :

أ-فعل القول (أو الفعل اللغوي):

1 ينظر:المرجع السابق ، ص 25- 26.

و يراد به << إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة>>. فعل القول يشمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية ، وهي المستويات اللسانية المعهودة : المستوى الصوتي،المستوى التركيبي،والمستوى الدلالي ، ولكن أوستين يسميها أفعالاً،الفعل الصوتي ،وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة ، وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة ،و أما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معانٍ و إحالات محددة فقولنا مثلا :

-إنها ستمطر- يمكن أن يفهم معنى الجملة ومع ذلك لا ندري أهي : إخبار ب <<أنها ستمطر>>أم تحذير من << عواقب الخروج في الرحلة>> أم <<أمر بحمل مظلة>>، أم غير ذلك ... إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد "قصد" المتكلم أو "غرضه" من الكلام.[1]

ب-الفعل المتضمن في القول ACTE ILLOCUTOIRE:

وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ << إنه عمل ينجز بقول ما>>،وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها،ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال : القوى الإنجازية ، ومن أمثلة ذلك السؤال ،إصدار تأكيد أو تحذير،وعد، أمر

1 د.مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،دار الطليعة بيروت،ط1،سنة 2005،لبنان ،ص 40 -41.

،شهادة في محكمة ...إلخ. فالفرق بين الفعل الأول (أ) والفعل الثاني (ب) هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء ،في مقابل الأول الذي هو مجردقول شيء.[1]

ج-الفعل الناتج عن القول ACTE PERLOCUTOIRE:

وأخيرا يرى أوستين أنه مع القيام بفعل القول ،وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة) ، فقد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو <<التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ، ومن أمثلة تلك الآثار :الإقناع التضليل ،الإرشاد ،التثبيط...>>ويسميه أوستين :الفعل الناتج عن القول ، وسماه بعضهم "الفعل التأثيري".[2]

وتتجلى ظاهرة الأفعال الكلامية عند العرب فيما يسمى ب "علم المعاني" وهو علم يهتم بتحليل الخطاب انطلاقا من علاقته بالسياق، ولقد قسم العرب الكلام إلى :كلام خبري وكلام إنشائي،أما بالنسبة لأحمد المتوكل فيرى أن الأفعال الكلامية عند العرب اتجاهين –إتجاه نحوي وهو الذي ينظر في عبارات الاستفهام والأمر وغيرها على أنها أشكال، و –إتجاه تداولي الذي تتجلى معالمه في كتب البلاغة والأصول.[3]

ولقد لخص أوستين البنية العامة للأفعال الكلامية في الشكل الآتي :

1 المرجع السابق، ص 42.

2 المرجع السابق، ص 42.

3 ينظر: الأستاذة بوعياد ،محاضرات في تحليل الخطاب ،ص16- 17.

الفعل الأول :فعل القول،وبنيته كالاتي:

فعل صوتي (إنتاج الأصوات

+ فعل تركيبي (إخضاع الأصوات لنظام نحوي معين)

+ فعل دلالي (ربط الأصوات بالدلالة)

فعل القول ACTE LOCUTOIRE

الفعلان الثاني والثالث :الفعل المتضمن في القول والفعل الناتج عن القول:

الفعل المتضمن في القول:وهو القيام بفعل ما ضمن قول شيء ACTE ILLOCUTOIRE

الفعل الناتج عن القول :وهو مجموع الآثار المترتبة عن الفعل السابق ACTE PERLOCUTOIRE

النتيجة:الفعل الكلامي الكامل،وبنيته كاالأتي:

فعل القول (قول شيء معين)ACTE LOCUTOIRE

+الفعل المتضمن في القول (القيام بفعل ما ضمن قول شيء)ACTE ILLOCUTOIRE

+الفعل الناتج عن القول (الآثار المترتبة على الفعل الإنجازي) ACTE PERLOCUTOIRE

الفعل الكلامي الكامل:ACTE DE DISCOURS INTÉGRAL

ولعل هذه البنية تتضح أكثر في الخطاطة أدناه:

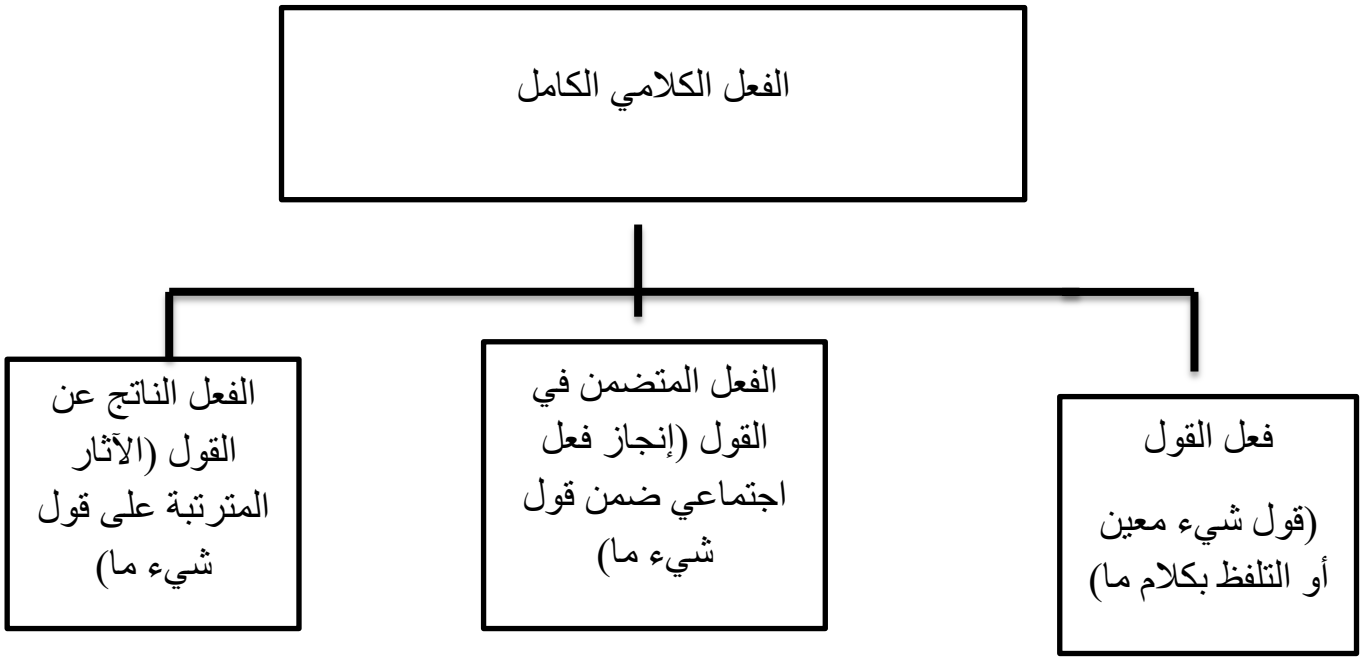

الشكل رقم 1:البنية العامة للأفعال الكلامية عند أوستين[1]

1 د مسعود صحراوي ،التداولية عند علماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،دراسة الطليعة،ص 43.

3-متضّمنات القول (LES IMPLICITES):

مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب ، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره ومن أهمها:

أ-الإفتراض المسبق PRÉ SUPPOSITION:

في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وا فتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم،تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل ،وهي محتواه ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة.[1]

-ففي الملفوظ(1) مثلا:

(1)-أغلقْ النافذة .

وفي الملفوظ (2):

(2)-لا تغلق النافذة.

في الملفوظين كليهما خلفية"افتراض مسبق" مضمونها أن النافذة مفتوحة، -مثال آخر (مترجم عن الألمانية):في مقام تواصلي معين ،يقول الشريك(أ) في الحوار للشريك(ب):

1 د مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"،ص 30 .31

(3)-كيف حال زوجتك و أولادك؟

ف"الافتراض المسبق" للملفوظ (3) هو أن الشريك(ب)"متزوج وله الأولاد"،وأن الشركين (أ)و(ب) تربطهما علاقة ما تسمح بطرح هذا السؤال يجيب الشريك (ب) بالملفوظ(4):

(4)-إنها بخير والأولاد في عطلة،شكرا.

ولكن إذا كانت الخلفية التواصلية غير مشتركة بين الشركين ،فإن الشريك(ب) يرفض السؤال أو يتجاهله،فيجيب بأحد الملفوظات الآتية:

(4أ)-لا أعرفك

(4 ب)-لست متزوجا

(4 ج)-لقد طلقت زوجتي

ويرى التداوليون أن "الإفتراضات المسبقة" ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ ،ففي "التعلميات"DIDACTIQUE ،تم الإعتراف بدور "الإفتراضات المسبقة" منذ زمن طويل ،فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه

والبناء عليه ،أما مظاهر "سوء التفاهم" المنضوية تحت اسم "التواصل السيء"،فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس "الإفتراضات المسبقة" الضروري لنجاح كل تواصل كلامي .[1]

ب.الأقوال المضمرة LES SOUS-ENTENDUS:

هي النمط الثاني من متضمنات القول ،وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الإفتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية ،تقول أوركيوني:<<القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها ولكن

تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث>>.

ومثال ذلك قول القائل :

<<إن السماء ممطرة>>:

إن السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى :

-المكوث في بيته.

-أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد.

-أو الإنتظار والترتيب حتى يتوقف المطر.

1 المرجع السابق،ص 31 -32.

-أو عدم نسيان مظلته عند الخروج...

وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب، والفرق بينه وبين الإفتراض المسبق أن الأول وليد السياق الكلامي والثاني وليد ملابسات الخطاب.[1]

4.الإستلزام الحواري (أو المحادثي): L'IMPLICATION CONVERSATIONNLLE:

لاحظ بعض فلاسفة اللغة واللسانين التداوليين،وخصوصا الفيلسوف غرايس أن جمل اللغات الطبيعية،في بعض المقامات ،تدل على معنى غير محتواها القضوي ،ويتضح ذلك من خلال الحوار الأتي بين الأستاذين (أ) و (ب):

-الأستاذ(ب):إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.[2]

لاحظ الفيلسوف غرايس أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت ،أحدهما حرفي و الآخر مستلزم .معناها الحرفي أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي أن الطالب المذكور ليس مستعدا لمتابعة دراسة في قسم الفلسفة .هذه الظاهرة اللغوية سماها غرايس ب:الاستلزام

1 المرجع السابق،ص 32.

2 المرجع السابق،ص 33.

الحواري،ولوصف هذه الظاهرة يقترح غرايس(1975) نظريته المحادثية ،التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية، وينهض مبدأ التعاون على أربع مسلَّمات MAXIMES:

أ.مسلمة القدر أو الكم QUANTITÉ:

وتخص قدْر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية ،وتتفرع إلى مقولتين:

-اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

-لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.[1]

ب.مسلمة الكيف QUALITÉ:

ونصها :<<لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ،ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه>>.[2]

أي لا تقل ما تعلم أنه ليس صادقا ولا تقل ما ليس لك عليه دليل يثبت صدق قولك.

ت.مسلمة الملائمة أو العلاقة PERTINENCE:

1 المرجع السابق، ص 33.

2 المرجع السابق، ص 34.

وهي عبارة عن قاعدة واحدة :"لتكن مشاركتك ملائمة".[1]أي التكلم في الوقت المناسب وفي صلب الموضوع وأن تكون دقيقا في كلامك.

ث.مسلمة الجهة MODALITÉ:

التي تنص على الوضوح في الكلام وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية:

أ.إبتعدعن اللبس.

ب.تحرَّ الإيجاز.

ت.تحرَّ الترتيب.

ولا تحصل ظاهرة الاستلزام الحواري،إذا تم خرق أحدى القواعد الأربع السابقة،

فالجملة <<إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز>>تستلزم حوارياً معنى العبارة :<<ليس الطالب (ج) مستعد، لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة>> لأنها خرق للقاعدة الثالثة ،قاعدة الملائمة (أو المطابقة)،ذلك أنها جواب غير ملائم للسؤال المطروح :<<هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟>>.[2]

1 مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب"دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي" ص34.

2 المرجع نفسه ، ص 34.

ويقترح غرايس تنميطا للعبارات اللغوية يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معانٍ صريحة ومعان ضمنية:

المعاني الصريحة:

وهي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها ،وتشمل ما يلي:

أ-المحتوى القضوي :وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب-القوة الإنجازية الحرفية:وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصيغة أسلوبية ما :كالاستفهام، والأمر،والنهي والتوكيد والنداء والإثبات والنفي..[1]

المعاني الضمنية:

هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ،ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها ، وتشمل ما يلي :

أ-معاني عُرفية:وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين،مثل معنى الاقتضاء.

1 المرجع السابق ص34 – 35.

ب-معاني حوارية:وهي التي تتولد طبقاً للمقامات التي تنجر فيها الجملة ،مثل الدلالة الاستلزامية[1] -مثال توضيحي:يمكن التمثيل لتلك المستويات بالجملة (د):هل مردّ من سبيل؟

فالمعنى الصحيح للجملة (د) مشكل من محتواها القضوي وقوتها الإنجازية،

.**أما المحتوى القضوي** فهو ناتج من ضم معاني مكوناتها :

الرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى بعد الموت .

. **وأما قوتها الإنجازية الحرفية**،المؤشر لها بالأداة "هل"،الإستفهام، وينتج معناها الصريح من ضم محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية.

والمعنى الضمني للجملة (د) يتألف من معنيين جزئيين هما كالأتي:

.معنى عرُفي هو الاقتضاء:أي اقتضاء حالهم الرجوع إلى الحياة الدنيا.

.معنى حواري استلزامي: وهو تمنّي المتكلمين من المخاطب (الله تعالى) أن يردّهم إلى الدنيا .[2]

-ويمكن إيضاح هذا التصور وكيفية تطبيقه على الجملة:"هل إلى مرد من سبيل؟" بالمشجر الأتي:

1 المرجع السابق ، ص 35.

2 المرجع السابق، ص 35.

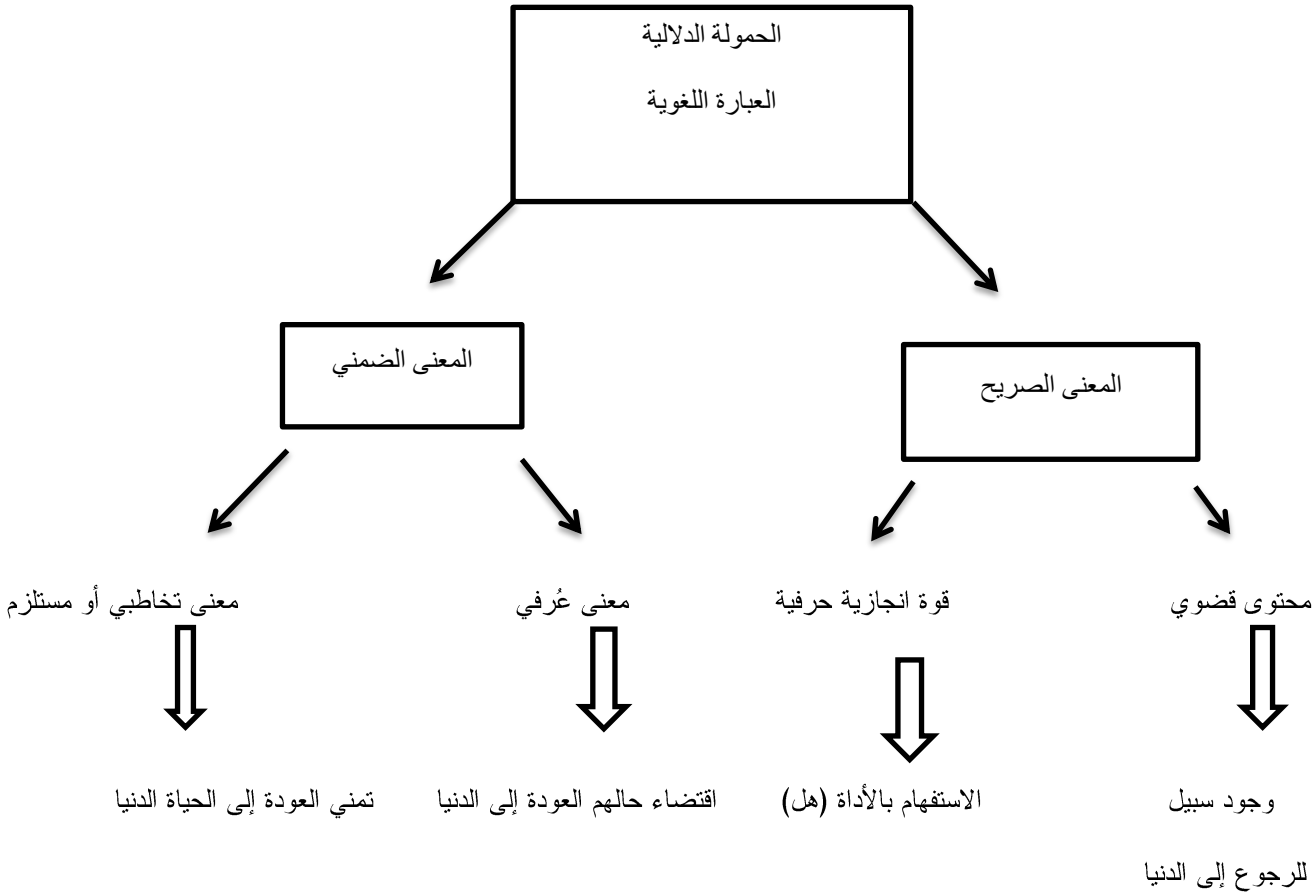

الشكل رقم 2 مخطط توضيحي للحمولة الدلالية للعبارة اللغوية.[1]

5-الحجاج:ARGUMENTATION:

أ الحجاج لغة: الحجاج لغة من حاجج، جاء في معجم العين <<الحج كثرة القصد إلى من يعظم... حجّوا عمامته:عظموه، ويقال الحجة الموسم ...والمحجة:قارعة الطريق الواضح،

1 المرجع السابق ، ص 36.

والحجة :وجه الظفر عند الخصومة>>فدل الحجاج على الخصام.[1]

ب الحجاج اصطلاحا: الحجاج تقنية يقوم المتكلم بها ليوضح موقفه ويعلله أمام مخاطب إنه:<<إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع المستمع إلى تبني موقف اعتمادا على إثباتات أو حجج >>ولا تقوم الحجة إلا بالسبب والعلة والإثبات.[2]

لقد أسس "**ديكرو**" "**DUCROT**" نظرية حجاجية تداولية تدرس الوسائل اللغوية التي يمتلكها المعلم ليقنع مخاطبه حيث يكون الحجاج بتقديم المتكلم قولا(ق1) أو (مجموعة أقوال يقضي إلى التسليم بفعل آخر (ق2) أو (مجموعة أقوال).فيكون القول الأول حجة للقول الثاني،وقد الحجة مصرحا بها أو ضمنية مفهومة من القول.[3]

ولقد فرق ديكرو بين معنيين للفظ الحجاج،المعنى العادي ،والمعنى الفني أو الاصطلاحي:

-الحجاج بالمعنى العادي:

يعني طريقة عرض الحجج وتقديمها ،ويستهدف التاثيرفي السامع فيكون بذلك الخطاب ناجحا فعّالا وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية غير أنه ليس معيارا كافيا إذ يجب ألا نهمل طبيعة السامع المستهدف فنجاح الحطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع ومدى قدرة التقنيات

1 د،خديجة بوخشة،محاضرات في اللسانيات التداولية، ص 60.

2 المرجع نفسه ، ص 62.

3 المرجع نفسه، ص 71.

الحجاجية المستخدمة على إقناعه ،فضلا على استثمار الراحة النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه.[1]

-الحجاج بالمعنى الفني:

يدل على صنف مخصوص من العلاقات الودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ،ضمن المحتويات الدلالية،والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون واصلة بين سلالم،إن التداولية المدمجة تعتبرأن القيمة الإخبارية للملفوظات قيمة ثانوية بالنظر إلى قيمة الملفوظ الحجاجية ،من هذا المنظور نرى انّ المجال التداولي هو قاعدة التركيبة الجامعة حيث الإعراب والدلالة لا يحتلان إلا مواضع التجريد دون توافق نظري منطقي ،ما لم يرتبط بقاعدتهما المؤسسة ،يمكن القول إذن أن أساس الحجاج في منظور بعض الاتجاهات التداولية هو الحوارية وما تتطلبه من عمليات حجاجية تتنوع وتتباين تقنيا بتنوع أنماط الحوار ومراتب الحوارية.[2]

-أصناف الحجاج:

يمكن تصنيف الحجاج إلى صنفين هما:

1 عبد الرحمن بشلاغم، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير فخر الدين الرازي "لسورة المؤمنون أنموذجا"، (رسالة ماجستير ،تخصص لسانيات عامة) ،قسم اللغة والأدب العربي، كلية الأداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2013، 2014، ص50.

2 المرجع نفسه،ص 50 -51.

أ-الحجاج التوجيهي: وذلك باعتبار استحضار حجاج المرسل إليه من عدمه ، سواء الحجاج السابق أو المتوقع ، فقد يكتفي المرسل بإنتاج خطابه دون تفكير فيما لدى المرسل إليه من حجج قد يواجه بها ، أو أن يضع تلك الحجج المفترضة أو المتوقعة في حسابه فتصبح أساسا قد يبنى عليه حجاجه.[1]

ب-الحجاج التقويمي:

قد يكون خطاب المرسل حجاجا على خطأ "متوقع" من مرسل إليه "متخيل" يفرض المرسل وجوده تحسبا لأيّ اعتراضات قد يواجه بها خطابه ،للإستناد على معرفته به وبعناصر السياق ، ومن ذلك حججه المفترضة ويتجسد هذا في بعض الخطابات التي يستثمر فيها المرسل مقولات من قبل:قال... فقلت...قلنا ،فإن قيل...قيل،كيف لا يكون كذلك مع أنه كذا وكذا؟ [2]

6-الخطاب:

الخطاب هو إنجاز في الزمان والمكان يقتضي لقيامه شروطا،أهمها المخاطِب والخطاب والمخاطَب ،ولفظ الخطاب من حيث **معناه اللغوي** يدل على كل ملفوظ أكبر من الجملة منظورا إليه من حيث قواعد التسلسل الجملي ، ومن وجهة **نظر اللسانيات** فإن الخطاب لا يمكن أن يكون سوى مرادف للملفوظ،فالهدف الأساس من استعمال الكلام هو إيصال رسالة ما إلى

1 المرجع السابق، ص 51.

2 المرجع السابق، ص51.

شخص معين أو إلى مجموعة من الأشخاص ، ولذلك فإن استعمال الكلام يستوجب وجود عنصرين لا يكون الحديث إلا بهما وهما المتكلم الذي يؤلف المرسلة تبعا لأهوائه ورغباته، والمخاطب الذي يقوم بفك رموز هذه المرسلة لفهمها فلابد إذن من أن تكون هناك مرسلة يثبتها المتكلم ليتلقها المستمع الذي قد يكون شخصا حقيقيا أو وهميا متخيلا من قبل المتكلم، فهذا التواصل الخارجي لا يقوم إذن إلا بوجود قطبي الحديث (المرسل و المرسل إليه)،بالإضافة إلى ضرورة وجود مرسلة تنتمي إلى نظام مشترك بين طرفي التواصل ليتمكن كل منهما من فهم الآخر و إفهامه ويميز جاكبسون نوعا آخر من التواصل يكون فيه المتلقي والمرسل شخصا واحدا وهو ما يعرف بالتواصل الداخلي.[1]

-قوانين الخطاب:

هناك عدة مبادئ للخطاب ونذكر منها مبدأ التأدب ومبدأ التواجه، ومبدأ التأدب الأقصى:

أ.مبدأ التأدب:

صاغت الباحثة "**روبين لايكوف**" هذا المبدأ في مقالها الشهير "منطق التأدب" بعبارة كن متأدبا... وصرحت بأن هذا المبدأ يقتضي أن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق

1 د.نعمان عبد المجيد بوقرة،المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية،جدار للكتاب العالمي عمان،ط1، 2009م،الأردن، ص 14.

الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ وهذا ما يسهم في تقوية أواصر العلاقات الإجتماعية.[1]

و لقد فرعت لايكوف ثلاث قواعد عن مبدأ التأدب وهي كالتالي:

1-قاعدة التعفف:

لا تفرض نفسك على المرسل إليه،أي لتبق متحفظا ولا تتطفل على شؤون الأخرين أي عدم إكراه المتلقي على فعل شيء مثلا عن طريق الطلب المباشر وعدم التدخل في شوؤنه الخاصة إلا بعد الإستئذان .[2]

2-قاعدة التشكك أو التخيير:

وصيغتها لتجعل المخاطب يتخذ بنفسه وعدم إستعمال أساليب الجزم والإلحاح.[3]

3-قاعدة التودد:

من خلال إظهار الود للمتلقي باستعمال صيغ تقوي أواصر الصداقة بين المتخاطبين.[4]

ب.مبدأ التواجه:

1 خديجة بوخشة،محاضرات في اللسانيات التداولية، ص 47.

2 المرجع نفسه ، ص 47 .

3 المرجع نفسه، ص 47.

4 المرجع نفسه ، ص47.

وهو مقابلة الوجه للوجه ورد مضمونه عند"**براون وليفينسون**" ويقوم هذا المبدأ على اعتبار الوجه صورة رمزية تمثل القيمة الإجتماعية للفرد المتكلم لذلك صاغا مبدأهما كالتالي:

"لتصن وجه غيرك" الوجه عبارة عن الذات التي يدعيها الفرد لنفسه والتي يريد بها أن تتحدد قيمته الإجتماعية، ومن الأفعال التي تهدد وجه المتكلم الإيجابي: الإعتذار أو الإعتراف بالخطأ،وأما تلك التي تهدد وجه السلبي فهي الشكر وقبول الشكر أو الوعد،أما المتلقي فمن الأفعال التي تهدد وجهه الإيجابي: الذم والسخرية والنقد،أما التي تهدد وجهه السلبي الأفعال الطلبية الأمر والنصح والتذكير والإنذار والتحذير...[1]

ج.مبدأ التأدب الأقصى: اقترحه"**جيفري ليتش**" "**G.LEECH**" وصاغه في صورتين اثنتين:سلبية وهي:"قلل من الكلام غير المؤدب"، وايجابية وهي "أكثر من الكلام المؤدب" ويحافظ مبدأ التأدب الأقصى على أواصر العلاقات الإجتماعية ، وقد اقترح "**طه عبد الرحمن**"مبدأ التصديق واستمده من التراث الإسلامي وصاغه بالشكل الأتي:"لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك".[2]

7-القصدية: ومن بين الدارسين المؤسسين للتداولية "**أوستين**" (**G.AUSTEN**) في مصنّفه الشهير"**أفعال الكلام**"الذي تحدّث عن القصد و أشار إلى الثنائية القصدية بأمثلة فيقول:<<ومن

1 المرجع السابق،ص 47- 48.

2 المرجع السابق،ص 48- 49.

أمثلة ما اعتبراه سوء النية واحتمل غير قصده قولي:" إني أعد" مع أني لا أنوي أن أنجز ما وعدت، وقولي :"إني أراهن" وأنا لا أقصد أن أدفع شيئا، وقولي :"أنّي أعلن الحرب" وإن كنت لا أريد أن أخوضها>>؛ فاحتمال غير قصده يظهر في قول شيء ظاهري صريح، ولكن يقصد وينوي أمراً آخر ضمنيا وغير صريح ،وهذا الأخير هو الهدف المنشود.[1]

في حين نجد مجموعة من الكتب تناولت قضية "القصد" منها كتاب "القصدية"

(INTENTIONALITY) ل "**جون سيرل**" ، حيث يعرّفها –القصدية– من خلال تفريقٍ بينهما وبين "**القصد**" فيقول:<<تعني "القصدية" التوجه، ويعني "القصد" قصد عمل شيء معين، ومجرد نوعٍ من أنواع القصدية أو إحدى صورها >>' ثم يضيف:<<تُعدُّ المقاصد والقصد مجرد صورة من صور القصدية>>.[2] أي أن القصد جزء من القصديةأو نوع من أنواعه.

و أشار إلى أنّ الفعل الكلامي –حسبه– يُنتج نوعين من المضامين ؛"**مضمون لغوي**"، و "**مضمون قصدي \ تمثيلي**" فأما الأول فهو القضية الأساسية التي يدور حولها الكلام ومتحققة باللغة فقط ، حيث يقول :<<قد يُعدّ من الأفضل استخدام مصطلح "المضمون اللّغوي"(القضية) على تللك الحالات التي تتحقق لغويا فقط>>،وأما الثّاني فهو المضمون أو القصد المستنتج من المضمون اللّغوي، فقد يصرّح به ويتمظهر لغوياً، وقد لا يعبّر عنه فلا

1 الأستاذة أقرين،(مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها،الثنائية القصدية بين التراث العربي والدراسات الغربية)، العدد الرابع والعشرون،سنة 2017،قسم الآداب واللغة العربية،كلية الأداب واللغات،جامعة محمد خيضر بسكرة،الجزائر ،ص 14.

2 المرجع نفسه،ص 14 – 15.

يتحقّق باللّغة ،يقول :<<و استخدام مصطلح المضمون التمثيلي أو المضمون القصدي كمصطلحين أكثر عمومية حتى يضمأ كلاًّ من الحالات القصدية المتحققة لغوياً وتلك التي لا يتم التعبير عنها لغوياً أو لا تتحقق باللغة>>.[1]

والفكرة نفسها نجدها عند القدماء العرب في كون المعنى المقصود نوعين ؛ واحد لغوي أوّليٍّ يُفهم من الكلام المنطوق \ المكتوب، والآخر يُلمح ويُفهم من التّريض. وقد جسّدت "**ك.أوريكيوني**"هذين النوعين في المخطط الآتي:

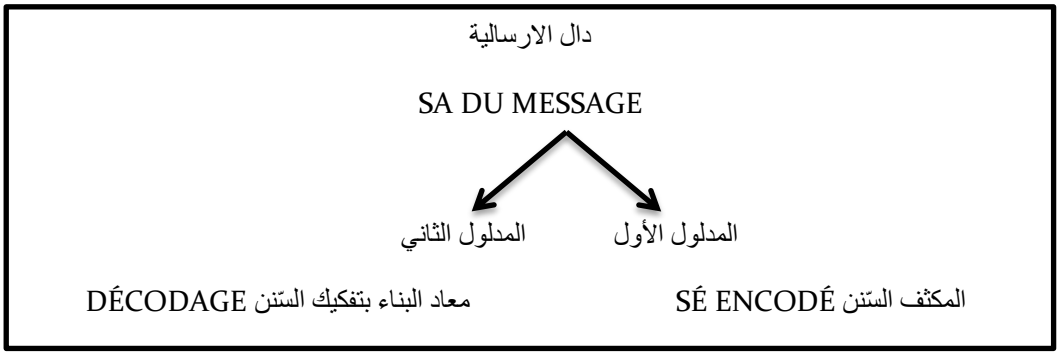

الشكل رقم3: مخطط يبين أن الكلام المرسل يحمل مدلولين.[2]

فالمخطّط يُبيّن أن الكلام المرسل يحمل مدلولين : و "المدلول الأول" وهو الأصلي المتعارف عليه "**وفق السّنن**" والقواعد المكثّفة (SÉ ENCODÉ)(السّنن المعجميّة)،كما أنه يتحدّد بالاعتماد على السّياق اللّغوي، وهو "**المضمون اللّغوي**" بتعبير "سيرل"،و "المدلول الثاني"

1 المرجع السابق، ص 15.

2 المرجع السابق، ص15.

هو الذي يُعاد فيه النظر "**بتفكيك السّنن**" (DÉCODAGE) والقواعد المكثّفة، ويتحدّد حسب قصد المتكلم والسّياق الحالي المتضمن فيه الكلام ، وبمصطلح "سيرل" هو "**المضمون المقصود**".[1]

وهو ما يمكن أن نسميه ب"**القصد الثابت**"و "**القصد المتحوّل**"، فالأول ثابت لأنه "**معجمي**" متفق عليه في حد ذاته،والثاني "**متغير**" كونه وليد العملية التأولية ،إلاّ أن هذا الأخير هو المعنى النّهائي ،لأنّ القصد المعجمي الثّابت (القصد الأوّل) عامل مُسهل لعملية الانتقال إلى المستوى الثّاني (القصد المتحوّل) عبر البحث عن الحيّز المشترك بين كلا المقصدين،والانطلاق من خلاله–القصد الأول– نحو تحديد القصد النهائي ،وهذا الأخير يمكن أن يتعدّد بتعدّد القراءات ،وهو ما يضمن للنّص الشّعري حياة متجدّدة. ففي "**المقاصد حياة للنص**"،يفقهها أهل التأويل.[2]

وبالتالي فالقصدية هي غرض وقصد المخاطِب من كلامه والذي يقوم المخاطَب بدوره بتأويله.

ومن خلال ما ذكرناه سابق من مبادئ التداولية نلاحظ أن لسياق أهمية ومكانة كبيرة في هذه الأخيرة، حيث أن مختلف هذه النظريات تركز بالدرجة الأولى على العلاقة بين المتكلم والسياق المصاحب لكلامه.

1 المرجع السابق ، ص 15– 16.

2 المرجع السابق،ص 16.

المبحث الثالث:السياق

تمهيد:

يأخذ مفهوم السياق في التحليل التداولي بعدا أعمق من اللسانيات الاجتماعية،فهو أحد أهم مرتكزات اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء استعمالها ،إنه آداة إجرائية يتميز بها التنظيراللساني التداولي على مستوى اللغة ،وعلى مستوى السياق الاجتماعي والثقافي والنفسي،حيث يقسم الدارسون التداولية إلى ثلاث درجات تتحدد كل درجة على أساس تشغيلها للسياق ،فتداولية الدرجة الثالثة مثلا تتعلق بتطبيقات أفعال الكلام في سياقها اللغوي وتشتغل على توظيف السياق بعمق في تحليلاتها،حيث يؤدي السياق وظيفة رئيسية في كشف مقاصد المتكلم الظاهرة والخفية ، وهو ما يجعل من السياق انتشارا في مجالات معرفية متعددة،فهو يتوزع عبر فضاءات معرفية كثيرة منها ماهو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان ...وغيرها.[1]

1-المفهوم اللغوي لسياق:

أ-السياق في القاموس العربي:

لسان العرب لابن منظور: أورد ابن منظور تحديدات للجذر أو المادة سوق :ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا،وهو سائق وسواق ،ساق إليها الصداق والمهر سياقا و أساقه (هنا

1 بومنقاش السعيد،محاضرات في مقياس التداولية، ص 17.

المعنى مجازي)،الدراهم والدنانير ،والسياق :المهر ؛فهو سوق ،كانت العرب في طقوس الزواج تسوق الإبل والغنم مهرا ،يطلق السياق أيضا على نزع الروح ،في السياق في النزع، يحيل المعنى اللغوي في معجم لسان العرب إلى دلالات متقاربة تتجاذبها تقريبا المعاني التالية:

معنى قاد ومعنى أعطى ومنح وأيضا معنى نزع.[1]

مقاييس اللغة لابن فارس:

السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدو الشيء ،يقال ساقه ويسوقه سوقا والسيقة ما استيق من الدواب ويقال سقت إلى امراتي صداقها ،والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق والساق للإنسان وغيره والجمع سوق، إنما سميت بذلك ،لأن الماشي ينساق عليها ، وسوق الحرب حومة القتال وهي مشتقة من الباب الأول.[2] وبالتالي نلاحظ أن معنى السياق في مقاييس اللغة لا يختلف عن ما ورد في لسان العرب لابن منظور .

ب-السياق في القاموس الغربي:

قاموس الجيب(La Rousse de poche) : السياق:هو ما يصاحب ،يسبق أو يتبع نصا ،للتوضيح.[3]

1 أ،د محمد عبد العزيز عبد الدايم.أ،د عرفات فيصل المنّاع،نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء(سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد)،منشورات الإختلاف،ط1،الجزائر،2015،ص3.

2 المرجع نفسه،ص 3.

3 علي آيت أوشان،السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة،دار مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء،ط1، 2000 م،المغرب، ص30 .

قاموس روبير الصغير من تأليف :آلان ري ودي بوف : السياق:هو ما يصاحب ،يسبق أو يتبع نصا ،للتوضيح.[1]

حاول واضعاه أن يحددا السياق اعتمادا على تعريفين: السياق:

1-مجموع نص يحيط بعنصر لغوي (كلمة،جملة،جزء من ملفوظ) ويتعلق بمعناها،وقيمتها.

2-مجموع الظروف التي في إطارها يندرج فعل ما،فهناك السياق السيكولوجي للتصرف ،والسياق السياسي ،العائلي،...[2]

2 -المفهوم الإصطلاحي لسياق:

-القواميس المتخصصة:

معجم تحليل الخطاب لمنغو وشارودو:

ورد في المعجم:إن سياق كل عنصر ما س هو مبدئيا كل ما يحيط بهذا العنصر ،وعندما تكون س وحدة لغوية (صوتم ،صرفم ،كلمة ،جملة،ملفوظ) فإن محيط س يكون في الآن نفسه من طبيعة لغوية (المحيط اللغوي) وغير لغوية (السياق المقامي الاجتماعي الثقافي) ويستعمل

1 علي آيت أوشان،السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة،دار مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء،ط1، 2000 م،المغرب،ص30 .

2 المرجع نفسه،ص 30 .

السياق بحسب السياق بحسب منغو وشارودو إما إلى المحيط اللغوي للوحدة (ويفضل آخرون تسميته جريا على استعمال بدأ يعم contexte (السياق المقالي) ، و إما إلى مقام التخاطب. [1]

وسواء أكان لغويا أم غير لغوي فالسياق يمكن تصوره بطريقة ضيقة (السياق المباشر) أو واسعة(السياق الموسع)،يدمج المعجم الإطار المكاني والزماني والمقام الاجتماعي المحلي الذي ينخرط فيه التبادل التواصلي والمشاركون في هذا التبادل (الأوضاع والأدوار والخصائص والعدد ،العلاقات القائمة بينهم أيضا)يدمجه في السياق الضيق،وينتمي إلى السياق الواسع جملة عناصر السياق المؤسساتي ،وتكون صورة السياق آنذاك مثل سلسلة لا نهائية من التضمنات:فكما أن الإطار المادي الأقصى –هو مجموع العالم المادي،فكذلك الإطار المؤسساتي الأقصى هو مجموع العالم الاجتماعي.[2]

القاموس الموسوعي للتداولية جاك موشلر–آن ريبول:

نجد في القاموس عرضا وافيا عن التداولية باعتبارها اتجاها مهما في دراسة الخطاباتالمتعددة ،خرج من رحم الفلسفة التحليلية،واقحمت بعض مفاهيمه في دراسة اللغات الطبيعية، يعكس–بحق–ارتباط العلوم الإنسانية ببعضها البعض.[3]

1 أ،د محمد عبد العزيز عبد الدايم، د،عرفات فيصل المنّاع،نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء،ص4 .

2 المرجع نفسه، ص4 .

3 المرجع نفسه، ص6 .

أورد كل من جاك موشلر وآن ريبول تحديدات مهمة تتعلق برحابة الأفق التداولي مقارنة بالدراسات البنيوية،فحسب اثنوغرافيا التواصل(غمبرزGumperz وهايمز Hymes) التي حسبها لا يمكن فصل القول عن إطاره الاجتماعي والثقافي الذي ينجز فيه ،تشمل الكفاءة اللسانية الكفاءة التواصلية.فمجموعة المعارف الثقافية والتعاملية تمثل قدرة على الفعل بطريقة مناسبة في السياقات أو المقامات المخصوصة.وفي هذا الاطار تعود اللسانيات إلى اللسانيات الاجتماعية اي إن دراسة عملية تنزيل اللغة في السياق (غمبرز Gumperz) والتنوع اللساني (Labov) وطقوس التعامل (غوفمان Goofman) تسيطر على دراسة النظام ، وباختصار فإن التركيز في دراسة اللغة واقع على وظائفها وليس على أبنيتها .أي أن النظام اللغوي مرهون بسياق يحتضن الدلالة ويبين مسارات التواصل التي تتعدى الإبلاغ إلى وظائف أخرى،تثمن دور عنصر السياق وما يحيل إليه من تطويع وتحريك.[1]

قاموس اللسانيات لجون ديبوا وآخرين: يورد المعجم نوعين من السياق :

1 . **سياق لغوي** وهو ما سماه بالمحيط (L'environnement) وهو يعني تجاوز الوحدات اللغوية،كالسوابق واللواحق،وتراصف العناصر اللغوية فيما بينها، 2 .**سياق اجتماعي**:وهو مجموع الشروط الاجتماعية التي يمكن أن تأخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات القائمة بين

1 المرجع السابق ، ص 6- 7.

السلوك الاجتماعي لاستعمال اللغة ونقول أيضا المقام،وهو مجموع المعطيات المشتركة بين المتكلم والمستمع في مقام ثقافي ونفسي،للتجارب ومعارف كل منهما.[1]

وبالتالي فالسياق هو العنصر اللساني المحيط بالجملة.

3 – مكانةّ السياق في المقاربة التداولية :

مرّ في البحث أنّ موضوعات الدرس التداولي قد ارتبطت ارتباطا عضويا بركيزتين هما:

السياق والقصد ، ابتداء من الإشاريات باعتبارها من العناصر التي يفسرها السياق اللفظي والسياق الخارجي، إضافة إلى الكلام الضمني الذي هو وليد السياق الكلامي وملابسات الخطاب مرورا بالاستلزام الحواري ،إذ هو معنى مستفاد من السياق، يضاف إلى ذللك الحجاج لا يتم إلا في ضوء المعطيات التي يتضمنها السياق،أمّا إنجازية الفعل الكلامي (خبر أو إنشاء) فلا تتحقق إلا من خلال المعطيات السياقية،غير أن تحقيق القصد التواصلي الموجه نحو المتلقين مرهون بمعرفة عدد من عناصر السياق التي من بينها العلاقة بين المتخاطبين ، وكذلك الزمان والمكان الذين يتلفظ فيهما المرسل بخطابه ،ليتخذ السياق بذلك مفهوم أكثر عمقا بمجيء الأبحاث التداولية ،إذ أنه احتل دورا مهما في المجال التداولي الذي أولى الاهتمام بالمواقف التخاطبية المختلفة ،فالسياق هو الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات لغوية بعينها ، واختيار آليات مناسبة لعملية الفهم والإفهام بين طرفي الخطاب ،لأن المنظور التداولي يقوم على عد اللغة ظاهرة

1 المرجع السابق،ص 7 .

اجتماعية،مرتبطة أشد الارتباط بثقافة مستعمليها ،هذه الثقافة التي يمكن تحليلها بحصر المواقف الاجتماعية المختلفة والمسماة سياقات مقامية ،ففكرة المقام هذه في الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي للغة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه الأحداث والظروف والعلاقات التي تسود ساعة أداء المقال.[1] وهذا التصور التداولي يتعارض جذريا مع الفكرة القائلة بأن اللغة آلة (Instrument) لنقل وتوصيل المعلومات ،فالتداولية من الأولويات التي تجعلها في مقدمة نشاطاتها هو الطابع التفاعلي للممارسة اللغوية، كما أنّها تصحّح وتصوب مجمل حالة التلفظ ....[2]

فالدرس التداولي ارتكز على اعتبار اللغة ممارسة فعلية،إنجازية، تواصلية تفاعلية تطمح من خلالها إلى تنجيع الخطاب ، وتفسير علاقة الفهم بالأشخاص مستعملي الخطاب ومؤوليه:فتعدد المعاني يفضي إلى محاولة البحث بين علاقة العلامات اللسانية وغير اللسانية لحاضنتها الثقافية والاجتماعية بدل البحث في علاقة العلامات اللغوية بعضها ببعض (المستوى التركيبي للنص)،أو علاقة العلامات بالأشياء (المستوى الدلالي للنص)،حيث لم تعد التداوليات ناجمة عن نظرية عامة للتواصل،وإنما عن نظرية معرفية ، وعليه يتبين بوضوح استحالة الإبقاء على علم الدلالة وحده لحل المشكلات المطروحة ،ومن ثمة ضرورة الأخذ بالمقومات التي تحيط

1 عماري محمد ،مبادئ الدرس التداولي –نظرية الخبر والإنشاء– (أطروحة دكتوراه،علوم اللغة)،قسم اللغة والأدب العربي،كلية اللغة والأدب العربي والفنون،جامعة باتنة،الجزائر،2016 2017، ص 162.

2 المرجع نفسه ،ص 162 .

بالاستعمال اللغوي،فالتداولية صنف من البحوث التي لا تفحص اللغة والكلام من الناحية الصوتية والدلالية والتركيبية ،بل يتعدى هذا إلى محاولة دراسة السلوك اللغوي ضمن نظرية الفعل،ويرى التداوليون ،نتيجة لهذه الرؤية، أنه من المتعذر تفسير مفهوم المعنى اللغوي تفسيرا بدون الإحالة على مقام التواصل .[1] وبالتالي عمق أصحاب الاتجاه التداولي مسألة السياق ،فتجاوزوا الإطار اللغوي الضيق إلى السياق الاجتماعي والنفسي والثقافي،والتداولية تسعى جاهدة لكشف العلاقة بين المتكلم والمتلقي ،وربط اللغة بالعالم الخارجي.[2]

وإذا كانت التداولية غالبا تعرف بعلم السياق فإنّ ذلك يشير إلى أنّ الأخذ بعين الاعتبار بمستوى التحليل الذي يشير إليه هذا المصطلح حاسم بالفعل لتوصيف التداوليات باعتبار البناء النظري،ويُعدُ الهولندي (هانسون) أنه "أول من جرب التوحيد بطريقة نظامية،وتجزئة مختلف المكونات التي تطورت إلى حد الآن بطريقة نظامية، وتجزئة مختلف المكونات التي تطورت إلى حد الآن بطريقة مستقلة فهو يميز بين ثلاث درجات للتداولية "،ويشير إلى الانتقال من درجة إلى أخرى إلى التطور التدريجي من مستوى إلى آخر،وعند كل مستوى يؤخذ قسم من السياق بعين الاعتبار، ويثرى السياق ويتعقّد كلما حدث هذا الانتقال.[3]

1 المرجع السابق، ص 163 .

2 المرجع السابق، ص163 .

3 المرجع السابق، ص 163 .

فالتداولية أثبتت أنّ الوقوف على النص بجميع مستوياته الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية لا يعطينا إلا المعنى المقالي، وهو معنى فارغ ، وقد يكون غامضا مع وجود حالات كثيرة من الاحتمالات المتداخلة ، وهنا تنشأ ضرورة اصطحاب السياق للوصول إلى المعنى محددا وواضحا ومقصودا،وهذه الحقيقة تؤكد أنّ تحليل سلسلة لغوية سواء أكانت جملة أم نصا، أم خطابا، تحليلا كاملا بدون مراعاة للسياق ،أصبحت فكرة مستبعدة. كما أنّ التحليل التركيبي لأي سلسلة لا يخلو من اعتبارات يوليها للسياق من أجل معرفة مدى صحة تلك الأنساق النحوية واللغوية ، ومدى ترابطها والتحامها لتشكيل المعنى العام للتركيب الكلي ،ومرّ في البحث أنّ التوجه العام للدرس اللغوي بدأ بالانفتاح على المعطيات السياقية منذ بروز جهود (فيرث) ،لذلك فإنّ الجهود التي بذلت في بلورة هذا المفهوم لا تكاد تعد أو تحصى ،ولا تكاد تخلو أي دراسة علمية اليوم من اعتبار السياق ، لما له من أهمية قصوى في فهم المعنى، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننظر إلى الكلمة ككيان مستقل عن باقي الكلمات ، ويتعذر فهمها بمعزل عن أخواتها اللواتي تؤازرها في الكشف عن المعنى .[1]

والسياق في التداولية يجب أن يتوفر فيه متكلم ومستمع واحد على الأقل ،خطاب أو وحدات لغوية قد تتضمن أفعال كلام ،ثم تنزل هذا الخطاب في زمان ومكان معينين،على أن تكون هذه الوحدات اللغوية حاملة لمعان محددة ، ومن ثمة تصبح أسئلة التداولية: من يتكلم ؟

1 المرجع السابق ، ص 163 – 164 .

وإلى من يتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ كيف نتكلم وماذا نقصد؟ أسئلة تبحث عن إجابات سياقية، ويصبح السياق محور التداولية.[1]

4 – أنواع السياق:

أ . السياق اللغوي:

السياق اللغوي linguistics context وهو يعني ذلك المعنى الذي ورد لهذه الكلمة في المعجم ،أي معنى الكلمة في الجملة أو العبارة،أو بمعنى آخر المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب فقد نجد كلمة ما يختلف معناها باختلاف الكلمات التي تكوّن معها جملة أو عبارة .ذلك مثلا كلمة " ضرب " فهي تعني :

1 –ضرب مدفعا بمعنى أطلقه.

2 –ضرب النار بمعنى أشعل.

3 –ضرب البوق بمعنى زمر...إلخ.[2]

ب –السياق غير اللغوي:

1 بومنقاش الرحموني،محاضرات في مقياس التداولية، ص 21 .

2 عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية،ط1 ،2007 م،مصر، ص 33 .

هو سياق خارجي زائد على النص، ويسميّه بعض الباحثين (السياق فوق اللغوي) . وبما أنّ الكلمة يتعدد معناها تبعا لتعدد السياقات الخارجية ، اقترح بعض اللغويين أنواعا للسياق غير اللغوي.[1]

. **السياق الوجودي (Exstential contexte)**: ويتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه (عالم الأشياء، حالاتها، الأحداث) التي ترجع إليها التعبيرات اللغوية ويتم الانتقال من الدلالة إلى التداولية حالما يدرك أن المرسل والمرسل إليه ، وكذلك موقعهم الزماني والمكاني هي مؤشرات للسياق الوجودي.[2]

. **السياق المقامي (Situationnel contexte)**: ونعبر هنا من شيء مادي خالص إلى شيء وسيط ثقافيا ويتميز المقام بالاعتراف به اجتماعيا بصفته متضمنا لغاية أوغايات وعلى معنى ملازم تتقاسمه الشخصيات المنتمية إلى نفس الثقافة.[3]

ومثال ذلك : المحادثات التي تجري بين محاميان مثلا حول قضية ما مقامها القانوني هو الذي يحكم هذه المحادثة.

---

1 زعطوط حسين،توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحوين والبلاغين والأصولين،(أطروحة دكتوراه،علوم اللسان العربي)، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الأداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح–ورقلة– ،الجزائر، 2012 2013م ،ص 89 .

2 شيتر رحيمة، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، التداولية و آفاق التحليل) ، العددان الثاني والثالث ، 2008 م، قسم الأدب العربي ، كلية الأداب،جامعة محمد خيضر –بسكرة– ، الجزائر ، ص 4 .

3 المرجع نفسه ، ص 4 .

. **سياق الفعل (Actional contexte):** تعد الأفعال اللغوية أصنافا جزئية من السياق المقامي والأفعال اللغوية أفعالا إرادية إذ يقصد المرسل إنجازها ويريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد إن هذه العلاقة بين المرسل والمرسل إليه يحكمها تفاعل الأطراف الذي يولد سياقا تواصليا بينهما.[1] أي أن هذه الأفعال إرادية وقصدية.

. **السياق النفسي (Sychological contexte):** إن اعتبار الخطاب فعلا و إن الفعل اللغوي قصد مشروط يؤدي إلى دمج الحالات الذهنية والنفسية في نظرية تداولية اللغة لتصبح المقاصد والرغبات حالات ذهنية ، مسؤولة عن برنامج الفعل والتفاعل، هذه الحالات هي مناط اهتمام الوصف والتفسير التداولي بوصفها السياق النفسي لإنتاج اللغة وفهمها .[2]

. **السياق العاطفي (contexte émotionnel):** يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال ،ممّا يقتضي تأكيدا،أو مبالغة أو اعتدالا فكلمة LOVE الإنجليزية، غير كلمة Like، رغم اشتراكهما في أصل المعنى ،وهو الحب. وكلمة "يكره" في العربية غير كلمة "يبغض" رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك.[3]

1 المرجع السابق، ص 4 .

2 المرجع السابق، ص 4 .

3 زعطوط حسين ، توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، ص 90 .

.السياق الثقافي (contexte culturel): ويقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة ،فكلمة rich تعتبر في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة wealthy.وكلمة عقيلته تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة زوجته.[1]

. سياق الموقف (contexte de la situation): يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة .مثل استعمال كلمة "يرحم" في مقام تشميت العاطس: "يرحمك الله"، (البدء بالفعل). وفي مقام الترحم بعد الموت :"الله يرحمه" ، (البدء بالاسم) ، فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا ،الثانية تعني طلب الرحمة في الأخرة. وقد دلّ على هذا سياق الموقف.[2]

.سياق الحال (contexte du cours): وهو السياق الذي جرى في إطاره التفاهم بين شخصين ،ويشمل ذلك زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة.[3]

5- عناصر السياق:

1 المرجع السابق، ص 90 .

2 المرجع السابق، ص 90 .

3 المرجع السابق، ص 92 .

يشتمل السياق على مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينهما إلى درجة لايمكن الفصل بينها لاستناد بعضها على بعض ،لكونه يقتضي عناصر كثيرة ومختلفة ومتداخلة ، من بين أهم عناصر السياق العناصر الشخصية المتمثلة في المتكلم والمتلقي وما يتميز به كل واحد منهم،والعلاقات الرابطة بينهما إلى جانب الوقائع أو العوامل الخارجية الأخرى كالزمان والمكان والجانب الاجتماعي،السياسي،الاقتصادي ،الثقافي للإ طار الذي جاء فيه الخطاب ، وفيما يلي عرض لأهم عناصر السياق:

-أ-المتكلم: إنّ الوظيفة التعبيرية للغة تتعلق قبل كل شيء بالمتكلم،ذلك لأنّ اللغة الطبيعية لا يمكن أن تتجسد أو تمارس دورها الحقيقي إلا من خلال المرسل ، بل يكون وجودها ذو فعل مناسب للسياق، فبدون المرسل لا يكون للغة فاعلية، فلأسباب لغوية بحتة شك كثيرا من اللغويين في إمكانية دراسة دلالة اللغة مستقلة عن مستعمليها ،ويكفي أن ننظر في النظام اللغوي عن مقولات أنا،أنت،وهناك والآن لكي نتحقق من أن علم الدلالة في جانب لا بأس به يدخل تحت تعريف البراغماتية،بأنها علاقة العلامات بمستعمليها،وعليه يمكن القول أنّ الخطاب أو أي ملفوظ

مهما كان نوعه لا يمكن فهمه إلا من خلال شخصية صاحبه،فلكل فرد منا خصائص معينة تؤثر في خطاباته وتجعل أسلوبه متميزا عن غيره ومن بين تلك الخصائص المرتبطة بشخص المتكلم والمؤثرة في الخطاب ،طريقة الكلام،جنس المتكلم،المستوى الثقافي والاجتماعي.[1]

-ب-العناصر المشتركة بين المخاطِب والمخاطَب :

من عناصر الخطاب الأساسية العناصر المشتركة،مثل العلاقة بين طرفي الخطاب، والمعرفة المشتركة، والظروف الاجتماعية العامة ،مما تثيره من الافتراضات المسبقة والقيود التي تؤطر عملية التواصل، وهذا العنصر هو أكثر العناصر المهيمنة على الخطاب ،لما لآثاره من انعكاس على العناصر الأخرى ، وبالتالي على تكوين الخطاب نفسه.ومن أهم تلك العناصر العلاقة الموجودة بين طرفي الخطاب ،إذ تعد العلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها، إذ يراعيها المرسل دوما عند إنتاج خطابه ،فلا يغفلها ، وذلك بوصفها محددا سياقيا له دوره في إنجاح عملية التواصل وتحقيق هدف المرسل من عدمه (...) وتعدّ المعرفة المشتركة من العناصر المؤثرة ،وهي الرصيد المشترك بين طرفي الخطاب ،فالمعرفة المشتركة هي الأرضية السياقية في إنتاج خطابه ،كما يعوّل عليها المرسل إليه في تأويله،وذلك حتى يتمكنا من الإفهام والفهم ، أو الإقناع والاقتناع...بمعنى أنّ طبيعة العلاقة بين طرفي العملية التخاطبية هي التي تفرض إستراتجية

1 عماري محمد،مبادئ الدرس التداولي -نظرية الخبر والإنشاء- ، ص 174 -175 .

معينة في بناء الخطاب وهو ما نلاحظه في ممارستنا اللغوية اليومية حيث يظهر جليا أننا نتبنى إستراتجية مختلفة في بناء خطاباتنا اليومية وذلك حسب طبيعة العلاقة التي تربطنا بالآخر فالاستراتيجيات الخطابية التي نعتمدها مع الصديق الحميم تختلف عن تللك التي نعتمدها مع صديق عادي ،كما تختلف عن تلك التي نستعملها مع الزميل أو الرئيس في العمل ومع إنسان غريب لا نعرفه حتى وإن كان الخطاب في كل هذه الحالات يدور حول القضية أو الموضوع نفسه.[1]

أمّا فيما يخص المعرفة المشتركة فتتمثل في الرصيد المعرفي في كل المجلات لطرفي العملية التخاطبية ويمكن تقسيمها إلى قسمين هما : معرفة عامة بالعالم ، ومنها معرفة كيف يتصل الناس ببعضهم بعضا وكيف يفكرون ، وكيف يستطيعون أن ينجزوا أفعالهم اللغوية داخل المجتمع مع إقامة الاعتبار لأطره العامة الدينية ،الثقافية ،الاقتصادية، والاجتماعية ، والمعرفة بنظام اللغة في جميع مستوياتها بما ذلك دلالاتها وعلاقتها بثقافتهما.[2]

ويندرج ضمن المعرفة العامة بالعالم معرفة آداب التعامل والتخاطب مثلا مبدأالتعاون ومبدأ التأدب ،وأيضا على المخاطِب مراعاة قواعد الخطاب كالصدق ومراعاة الكم وذلك أثناء خطابه ،كما يجب عليه مراعاة الإطار العام للعملية التخاطبية (الأبعاد الثقافية،الدينية ،الاقتصادية، السياسية،العادات والتقاليد)،من جهة أخرى على المتلقي عند تأويله للخطاب أن

1 المرجع السابق ، ص 175 – 176 .

2 المرجع السابق، ص 176 .

يراعي هذه الأبعاد عند مخاطبه إذا أراد الوصول إلى المعنى الحقيقي لذلك الخطاب،ومعرفة الفاعلين والمتفاعلين في العملية التواصلية بالنظام اللغوي المعتمد في خطابات نظرائهم يساهم إيجابيا في حصول الإفهام والفهم فيما بينهم حيث أن النظام اللغوي يختلف من لغة إلى أخرى ومن لهجة إلى أخرى ،كما أن هناك بعض الكلمات والعبارات يختلف إستعملها من منطقة إلى أخرى بالرغم من أن هذه المناطق تستعمل نفس اللغة.[1]

ومن العناصر المشتركة بين المخاطِب والمخاطَب الزمان والمكان وهما عنصران يمكن إدراجهما ضمن المعرفة العامة والعبارات يختلف إستعملها من منطقة إلى أخرى بالرغم من أن هذه المناطق تستعمل نفس اللغة.[2]

والعبارات يختلف إستعملها من منطقة إلى أخرى بالرغم من أن هذه المناطق تستعمل نفس اللغة.[3]

ويشير" محمد خطابي" إلى أن العناصر السياقية تشمل :المتكلم ،المخاطَب ،المشاركون ، الموضوع ، القناة ،المقام ،السنن ،جنس الرسالة،الحدث ،المقصد ،لكن ليس من الضروري الاحتفاظ بكل هذه العناصر.[4]

1 ينظر المرجع السابق ، ص 177 .

2 ينظر المرجع السابق ، ص 177 .

3 ينظر المرجع السابق ، ص 177 .

4 الأستاذة شيتر رحيمة ، التداولية و آفاق التحليل، ص 3 .

ويمكن حسب "براون " و "يول" الاكتفاء بـــ :التكلم ،المخاطب ،الرسالة ،الزمان والمكان ونوع الرسالةة ومن الضروري أن تعرف على الأقل من هو المتكلم ومن هو المستمع وزمان ومكان إنتاج الخطاب.[1]

ومن خلال ذكرنا لأنواع السياق المختلفة وعناصره نلاحظ أنها تترابط فيما بينها ،

كما أنها تساهم في عملية تسهيل التفسير التداولي للقضايا وللمواقف التواصلية ،حيث أنّ لسياق دور و أهمية بالغة في تحديد المعنى أو ترجيحه على حساب معنى أخر كما يتحكم في تبدل المواقف التواصلية وتحولها من حال إلى آخر.[2]

6. السياق في الموروث العربي:

أ . في علم البلاغة:

انصب اهتمام البلاغين في دراستهم للسياق على فكرة (مقتضى الحال) والعلاقة بين المقال والمقام،فأما مصطلح (مقتضى الحال) فقد اهتم به علماء (علم المعاني) و(الحال) في اصطلاحهم يعدل (مقتضى الحال) . يقول التهاوني "والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص –أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤى به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة بمقتضى الحال ،مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضي تأكيد

1 المرجع السابق، ص 3 .

2 ينظر المرجع السابق ، ص 4 –5 .

الحكم والتأكيد مقتضاها ... وعلى هذا النحو قولهم (علم المعاني) علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال- أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللَّةً بالأحوال .[1]

وبالتالي فعلماء علم المعاني اهتموا بأحوال المتكلم والمستمع ،كما أنه على المتكلم أن يكون على علم بأحوال المستمع قبل أن يتكلم حتى يكون كلامه مطابقا مع حال المستمع.[2]

و إذا ما نظرنا إلى "المقال " على أنه يمثل "السياق اللغوي" فإننا نجد أن البلاغين قد أولوه عناية كبيرة ، وليس أدلّ على ذلك من ربط العلاّمة عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه ، حيث يقول:" وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه،ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلَّقا معناها بمعنى ما يليها. فإذا قلنا في لفظة (اشتعل)من قوله تعالى :(واشتعل الرأس شيبا):إنها في أعلى مرتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ، ولكن موصولاً بها الرأس معرفا بالألف واللام ومقرونا إليها الشيب منكرّا منصوبا".[3]

1 أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى،محمد سالم صالح، بتاريخ 7/6 /2020 ،سا: 45 :55 :23،https://www.kau.edu.sa . ص 5 ،6 .

2 ينظر المرجع نفسه ، ص 6 .

3 المرجع نفسه ، ص 6 .

ويقول في موضع آخر: "فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمّ مفردةٌ و أن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أوما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريح اللفظ". [1]

وبالتالي فالكلمة عند البلاغين عندما تكون مستقلة لاتكون فصيحة إلا إذا كان هناك مايسبقها أو يلحقها من الكلمات، والأمر نفسه في السياق اللغوي الذي لا ينظر إلى الكلمة على أنها وحدة مستقلة و إنما يحدد معنى الكلمة من خلال مايسبقها ويلحقها من الكلمات أي السياق الذي ترد فيه الكلمة و إذا ما نظرنا إلى "المقام" على أنه يمثل "سياق الموقف" وجدنا ذلك أيضا واضحا عند البلاغين و عبد القاهر الجرجاني يربط الكلام بمقام استعماله ، ومراعاة مقتضى حاله وهو لب دراسة المعنى اللغوي عنده.[2]

كما إهتم "الجرجاني" بالسياق النفسي حيث تحدث عن الأثر النفسي ودوره في نظم الكلم،يقول:"فأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس".حيث تتغيَّر دلالات التراكيب وتتباين مقاصدها بتعدد المقامات وتباينها، فالمعاني إلا بحسب مقاماتها وكذلك التراكيب وقد أكد "عبد القاهر" في هذا السياق

1 المرجع السابق ، ص 6 .

2 المرجع السابق، ص6 .

ضرورة الاستعانة في التحليل بالعوامل التداولية كالمقاصد والأغراض التي من أجلها أنشيءالكلام ، ومراعاة الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث الكلامي.[1]

كما إهتم "عبد القاهر" بعناصر الخطاب من متكلم ومخاطب ورسالة في توصيف الخبر، إذ يتعذر أن تنفصل الملفوظات عن لافظيها .[2]

ومما سبق نلاحظ أن "الجرجاني" قد ساهم بشكل كبير في العناية بالسياقين اللغوي وغير اللغوي وذلك من خلال العناية بالمقاصد وسياقات استعمالاتها اللفظية وغير اللفظية والسياقات القائمة داخل الخطاب وخارجه.[3] ولقد اقتفى "السكاكي" أثر "عبد القاهر" حيث تتجلى المستويات الأساسية لتحليل عنده فيما يلي:

1 – مستوى المفرد: الذي يعد جوهر الدراسات المعجمية والصرفية.

2 – مستوى المركب:وميدانه علم النحو.

3 – مستوى المقام:ويعد قسما مشتركا لعلمي المعاني والبيان.

وعلى ضوء المستوى الثالث الذي يُعنى بالمقام يعرف السكاكي علم المعاني بقوله : "اعلم أنَّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان

1 أ.د محمد عبد العزيز عبد الدايم،د.عرفات فيصل المنّاع،نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء،ص 90 .

2 المرجع نفسه ،ص 93 .

3 ينظر المرجع نفسه ، ص 93 .

وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقضي الحال ذكره" إن حضور مسألة وجوب مراعاة المتكلم لمقامات التكلم يبدو واضحا في هذا النص، فالمقام هو الذي يقتضي تركيبا ويقضي آخر ، وليس للمتكلم الخيار لأنه يختار من أساليب البيان ما يناسب الوفاء بمقصده وضوحا أو خفاءحسب ما يقتضيه المقام ، بسبب قصور الحقيقة عن إفهام المراد إفهاما يناسب المقام فتمس الحاجة إلى استعمال الألفاظ في غير معانيها الوضعية ، يكون المطابقة لمقتضى الحال لا تتحقق إلا بهذه الأساليب.[1]

كما تحدث "السكاكي" عن العمليات التركيبية مثل التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والإظهار والإظمار ، والوصل والفصل ، والإيجاز والإطناب ، هو حديث في حقيقته حيثيات تداولية تعنى بالسياق بنوعيه، ولقد تعرض السكاكي للمقام والمقال والمقولة المشهورة (لكل مقام مقال).[2] وتبدو عناية الجاحظ بالمقام الاجتماعي واضحة المعالم في قوله :"وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات " وبالتالي ف"الجاحظ" أدرك أن للمقام أهمية في العملية التواصلية حيث أن مراعاة الموقع الاجتماعي للمخاطب يعد من العناصر الأساسية التي تبنى عليها العبارة.[3]

1 المرجع السابق ، ص 94 .

2 ينظر المرجع السابق، ص 94 .

3 ينظر المرجع السابق، ص 96 .

وتبدو عناية الجاحظ بالمقام الاجتماعي واضحة المعالم في قوله :"وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات " وبالتالي ف"الجاحظ" أدرك أن للمقام أهمية في العملية التواصلية حيث أن مراعاة الموقع الاجتماعي للمخاطب يعد من العناصر الأساسية التي تبنى عليها العبارة.[1]

ومن خلال ما سبق نتوصل إلى عناية القدامى بالسياق تتقاطع مع الدراسات اللسانية الحديثة التي أولت السياق اهتماماً كبيراً بوصفه مسألة ضرورية وحاسمة في مجال دراسة اللغة،فبدون السياق تصبح قناة التواصل متوترة فالكلمات اللفظية كثيراً ما تضللنا في غياب القيمة التلفظية وتعكس عناية القدامى بالسياق تعاملهم مع اللغة بوصفها كائنا حيا ، فربطوها بالمقامات التخاطبية التي تسيج العبارة وذلك الذي جعل للسياق دوراً فارقاً في استخلاص المعنى المراد.[2]

ب – في علم التفسير:

لقد استقرمفهوم التفسير على أنه العلم الذي يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه،وذلك من خلال علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، كما يحتاج علم التفسير إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.[3]

1 ينظر المرجع السابق، ص 96 .

2 ينظر المرجع السابق ، ص 96 .

3 ينظر: أ.د محمد عبد العزيز عبد الدايم ، د عرفات فيصل المنَّاع ،نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء،ص 66

وإذا كان السياق وسيلة هامة لدى غير المفسرين،فإن المفسرين كانوا أكثر تنبها لدور هذه الوسيلة الهامة في تفسير القرآن الكريم، وصرحوا بها في كثير من الأحيان ، كما أن المفسرون كانوا يمتنعون عن الأخذ بالمعنى الظاهر أي الذي يتبادر لأول وهلة ،فكانوا يعدلون عن ظاهر المعنى إلى معنى آخر يتماشى مع السياق ،حيث أن دلالة الألفاظ تتطور لتدّل على معنى يخالف دلالتها الأصلية التي ارتبطت بها عند الوضع الأول.[1]

ولقد ميز (ابن تيمية) رحمه الله بين نوعين من المفسرين:

أ – صنف راعى المعنى الذي رآه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان

ب – صنف راعى مجرد اللفظ ، ومايجوز عندهم أن يريد بع العربي،من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام.[2] أي نوع من المفسرين إعتمد على السياق والنوع الأخر لم يعتمد عليه وركز على اللفظ فقط.

والسياق هو الذي يحول الظاهر اللغوي إلى المعنى الحقيقي المقصود ، ولقد قال الإمام (الزركشي): ((ومن أحاط بظاهر التفسير وهو معنى الألفاظ في اللغة ،لم يكف ذلك فهم حقائق المعاني))، ومثاله قوله تعالى : **{{ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللهَ رَمَى }}**، وبالتالي فظاهر تفسير هذه الأية واضح بينما حقيقة معناه غامضة، فإنه إثبات للرمي ونفي له ، وهما متضادان

1 ينظر : المرجع السابق ، ص 67 .

2 المرجع السابق، ص 67 .

في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ، ولم يرم من وجه.[1] وبالتالي فالسياق له دور مهم في فهم المقاصد الخفية والغامضة للألفاظ ولفهم دلالة الآيات يجب الاستناد إلى القرائن المقالية والحالية ، التي تمثل السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي .[2]

أ – القرائن المقالية:

ويقصد به شرح دلالة الوحدات الدلالية من خلال مايسبقها أو يلحقها من وحدات أخرى،ومثال ذلك قوله تعالى : **{{ وَكُلُوا وَ اشْرَبُوا حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}}**، ولو ترك هذا النص دون قرينة(من الفجر) لأصبح مفهومه غير واضح ، وغير محدد ، وقد حدث هذا ، حيث إنه لما نزلت هذه الآية كان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين زيهما، فأنزل الله تعالى بعد ذلك (من الفجر)، فعلمو أنه يعني الليل والنهار.وبالتالي فكلمة (من الفجر) قرينة لفظية أظهرت المعنى المقصود من هذه الأية و أوضحت المراد بها بعد أن كان مفهومها غامضاً.[3]

و أما السياق القرآني ككل فهو أمر تنبه العلماء إلى خطورته في توجيه المعنى ، فالقرآن الكريم يشتمل على الإيجاز والإطناب وعلى الإجمال والتبين وعلى التقييد وعلى العموم والخصوص ، مما أدى بالعلماء إلى تفسير القرآن بالقرآن حيث أنه ما أوجز في مكان قد بسط

1 ينظر: المرجع السابق، ص 67 .

2 ينظر: المرجع السابق ،ص 68 .

3 ينظر: المرجع السابق ، ص 68 – 69 .

في مكان آخر وما أجمل في موضع قد بين في موضع أخر وما جاء مطلقا في ناحية قد يلحقه التقيد في ناحية أخرى وما كان عام في آية قد يكون مخصوص في آية أخر، وهذه الطريقة في التفسير يقابلها عند المحدثين المقابلة السياقية أي تقابل السياقات بعضها بعضا ليتضح المعنى من مجموعها ، وتعتبر هذه الطريقة عند العلماء من أصح الطرق لتفسير القران الكريم.[1] وقد يعتمد المفسر على تسييق الوحدات بمراعاة السياق الذي ترد فيه الوحدات الدلالية من خارج النص القرآني ، ويكثر ذلك في الشعر الجاهلي ومثال ذلك **قوله تعالى:{{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}}**. قيل هو الولد مستدلا بقول

الشاعر :**أما السمي فأنت منه مكثر والمال مال يغتدي ويروح.** [2]

ب – القرائن الحالية:

وهي قرائن تشكل ظروف وملابسات الخطاب وتقابل (سياق الحال) أو المقام في النظرية الغربية الحديثة ، وتشكل الظروف والملابسات التي حفت بنزول القرآن الكريم الخلفيات الغربية الحديثة ، وتشكل الظروف والملابسات التي حفت بنزول القرآن الكريم الخلفيات الهامة الضرورية في فهم معنى الآيات ودلالتها، وعلى هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة هم الأكثر فهما للقرآن الكريم وهذه الأحوال واظروف متعددة العناصر ، وهي تشكل عناصر المقام ذاته ، غير أن أهم عناصرها:

1 ينظر :المرجع السابق ، ص 69 .

2 ينظر :المرجع السابق ، ص 69 – 70 .

أ . المتكلم وما يتصل به، ب . المتلقي وما يتصل به، ت . العلاقة بين المتكلم والمتلقي، ث ،الموقف الكلامي، ج . الظروف الخارجية للخطاب.[1]

وفي تفسير القرآن الكريم نجد هذه العناصر حاضرة في عمل المفسرين وذلك من خلال كتبهم ومنهجهم في التعامل مع النص القرآني لفهم دلالته.[2]

ولقد أدرك الإمام (الشاطبي) أهمية وقيمة القرائن الحالية و أشار إليها في قوله :((معرفة مقاصد الكلام إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال ، حال الخطاب من جهة نفس الخطاب ، أو المخاطِب أو المخاطَب أو الجميع، إذا الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك)).[3]

وبالتالي فهذا النص هو تلخيص للقرائن الحالية والذي هو عند المحدثين يسمى بسياق الحال.[4]

فيما يتصل بالمخاطب لا يمكن الإحاطة بحقيقته وغايته كون أن القرآن الكريم خطاب من الله تعالى، ونتيجة عدم معرفة القصد في الكثير من الأحيان ، يلجأ المفسرون إلى تأويل آيات

1 المرجع السابق ، 70 -71 .

2 ينظر: المرجع السابق ، ص 71 .

3 المرجع السابق، ص 71 .

4 ينظر: المرجع السابق، ص 71 .

الصفات وغيرها بما يتوافق مع صفات الله تعالى ومبادئ العقيدة الإسلامية في ذلك.[1]

أما المخاطَب فلقد إهتم به المفسرون إهتماماً كبيراً وأدركوا أن النص تختلف دلالته بحسب المخاطَب فالخطاب الذي يوجه للمؤمن يختلف في دلالته إذا كان موجها لغير المؤمن.[2]

ولقد قسم المفسرون نصوص القرآن الكريم إلى قسمين ، نصوص مكية و أخرى مدنية، وهنا يدخل السياق المقامي حيث يختلف المخاطَب بين القرآن المكي والمدني حيث أن أهل مكة أكثرهم مشركون و أما أهل المدينة فأكثرهم مؤمنون، وبالتالي فمعرفة مكي القرآن ومدينه يساعد بشكل كبير في فهم الظروف والأحوال التي كان يعالجها القرآن الكريم في كل من المجتمعين، كما يسهم في فهم النص .[3]

كما إهتم المفسرون بمعرفة أسباب النزول والذي يشمل الظروف النفسية والإجتماعية والتاريخية التي صاحبت نزول الآيات وعلى هذا الأساس تنقسم أسباب النزول إلى عام وخاص ، وكلاهما سياق مقامي لنص والسبب العام هو معرفة حاضر الجماعة التي كانت تعيش لعصر النزول ومعرفة عاداتها و أعرافها وكذا أخبار الأمة العربية قبل الإسلام وما جاورها من أمم ، ومن عايشها على أرض شبه الجزيرة من أصحاب الديانات الأخرى، و أما السبب الخاص فهو

1 ينظر: المرجع السابق، ص 71 .

2 ينظر:المرجع السابق ، ص71- 72 .

3 المرجع السابق ، ص 72 .

الحادثة المباشرة التي ارتبط نزول الآية بها وهو وسيلة تساعدنا على فهم الآية وكذلك التصور الواضح للموقف الذي نزلت فيه الآيات في خضمه مما يساعدنا على التفسير والتأويل.[1]

ومثال ماسبق ما ذكره الرازي في تفسير قوله تعالى:**{{فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا}}**.من أنه روي عن ابن عباس–رضي الله عنه– أن العرب عندما يرجعون من الحج بعد أيام التشريق يقفون بين مسجد منى والخليل ويتفاخر كل واحد منهم ويتناشدون الأشعار بفضائل آبائهم وذلك من أجل الشهرة والترفع بمآثر سلفه، ولما جاء الإسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لربهم كذكرهم لآبائهم أو أشد ذكراً، وبالتالي فهذه الراوية أزالت الغموض حول علاقة ذكر الآباء هنا بالحج عند قراءة الآية.[2]

ولقد شكل السياق بنوعيه جزاءا مهما في منهج المفسرين من خلال تبيانهم واستنباطهم لمعنى الأيات القرانية بما فيها من دلالات و أحكام معتمدين في ذلك على القرائن التي ذكرناها سابقا والتي تتجلى من خلال السياق.[3]

ج . في علم أصول الفقه:

لقد اختص هذا العلم في موروثنا العربي باستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها (القرآنية بالدرجة الأولى) ويعد هذا العلم من أشد علوم موروثنا العربي اهتماما بالسياق ووعيًّا بطبيعة

1 ينظر : المرجع السابق ص ،72 – 73 .

2 ينظر:المرجع السابق ، ص 73 .

3 ينظر: المرجع السابق ، ص 73 .

دوره وتوظيفا لسائرعناصره المقالية والمقامية والتي هي في منظوره أوضح طرائق الفهم و أقوى آليات الاستنباط.[1]

واعتمد علماء "أصول الفقه" على فكرة السياق في بيان المعنى في النصوص الشرعية،إذ يعد اللجوء إلى قرائن السياق من وسائلهم لتحديد المعنى وقد وعوا تماما أن ثمة نوعين من القرائن السياقية،الأولى هي القرائن اللفظية،والثانية هي القرائن المقامية وفهموا الأثر الذي تقوم به هذه القرائن في تحديد دلالة النص، ومن عناصر السياق اللغوي التي اعتمد عليها الأصوليون في رصد الدلالات المختلفة للأمر والنهي ما يسمى بالنبر والتنغيم في الدراسات اللغوية الحديثة.[2]

ويظهر لدى الأصولين تمثل واضح لعناصر السياق اللفظية والاجتماعية و أثرها في تحديد المعنى ، وهو تمثل يفوق ما رأيناه لدى المفسرين والبلاغيين بجوانب كثيرة عُني مداره على معرفة مقتضيات الأحوال ، حال الخطاب من جهة نفس الخطاب ، أو المخاطِب أو المخاطَب أو الجميع، إذا الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك)).[3]

1 ينظر: د.حسن طبل، (فكر و إبداع،نظرية السياق بين الموروث العربي واللسانيات الحديثة)،العدد53 ،2009 ،قسم الأدب العربي،كلية دار العلوم،جامعة مصر،القاهرة، ص78 .

2 محمد سالم صالح،أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، ص 8 .

3 المرجع نفسه ، ص 71 .

الأصوليون ببحثها، وإن كانت الصلة وثيقة بين عمل الأصولي والمفسر ،فالأصولي ماهو إلا مفسر.[1]

لقد فطن الأصوليون أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، وأنها تؤدي دوراً مهماً في حياة المجتمع، وأنها نشأت تلبية لحاجات الإنسان في حياته الاجتماعية، وتنبهوا -كذلك- إلى أن اللغة نظام من العلامات أو الرموز و أنها أرقى من غيرها و أقدر على تلبية حاجات المجتمع، لأن التعارف يتم بأسباب كحركات أو إشارات أو نقوش أو ألفاظ توضع بأزاء المقاصد،و أيسرها و أعمها و أنفعها الألفاظ.[2]

وقد أكد الأصوليون الطبيعة العرفية بين الألفاظ والمعاني ،وإذا كانت الدلالة الحقيقية تابعة لقصد المتكلم و إرادته فلا بد للكشف عن المعنى من معرفة قصد المتكلم بالقرائن المختلفة.[3]

ولا يفتأ الأصوليون إلى ينبهون إلى أن الألفاظ المفردة والتراكيب تتعرض -بسبب السياقات اللفظية والمقامية المختلفة-لألوان من التغير الدلالي،ولذلك ينبهون إلى ضرورة الاستعانة بالسياقين الفظي والحالي أو ما تسميه نظرية السياق بالموقف الكلامي بجميع عناصره.[4]

ولقد ألح الأصوليون كثيرا على ضرورة استقصاء عناصر السياق والبحث عن وجوه

1 نظر في نظرية السياق دراسة بين القدماء والمحدثين ، خالد عبود حمودي الشيخلي،بتاريخ 9 /7 /2020 ،سا:4:35:46،https://www.mobt3ath.com،ص11 .

2 المرجع نفسه، ص 11 .

3 المرجع نفسه، ص 11 .

4 المرجع نفسه، ص11 .

تضافره عند محاولة التأويل أو استنباط الحكم ويظهر ذلك من خلال المبادئ التي وضعوها لمن يتصدى لاستخراج الحكم من القران وهي كاالتالي:

أ .النظرة الكلية للنص القراني:

وذلك من خلال النظر للقران على أنه نص واحد ولايصح النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض.[1]

وانطلاق من هذا المبدا يذهب الإمام الشافعي- على سبيل المثال-إلى حمل المطلق على المقيد في كفارتي الظهار والقتل خطأ، فهو يرى أن كفارة الظهار لايُجزى فيها تحرير رقبة على غير دين الإسلام ، ذلك لأنه إذا كان لفظ "الرقبة" قد ورد مطلقا دونقيد الإيمان في قوله سبحانه في كفارة الظهار: قال الله تعالى:**{{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ اَن يَتَمَآسَّا...}} (المجادلة:3)** فإنه قد قيد به قوله عز وجل في كفارة القتل خطأ: **{{وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئًا فَتَحْرِيُرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ...}}. (النساء: 92)** ، ومن ثم وجب حمل المطلق على المقيد.[2]

ب .الاسترشاد بالسنة النبوية:

1 ينظر: د.حسن طبل،نظرية السياق بين الموروث العربي واللسانيات الحديثة،ص 78 - 79 .

2 ينظر : المرجع نفسه ، ص79 - 80 .

وهو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم والسنة النبوية لها صلة وثيقة بالقران الكريم وفيها تفصيل مجمله، وبسط مختصره، وتوضيح مشكله، ومثال ذلك ما استشهد به الشاطبي فالصلاة مثلا فرضت دون بيان لموقيتها وأركانها وعدد ركعتها ولكن السنة النبوية بينت ذلك ، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم "**صلوا كما رأيتموني أصلي**".[1]

ج .الاستئناس بأسباب النزول:

حيث يرى الشاطبي أنه من الضروري معرفة أسباب نزول القرآن لمن أراد علم القرآن فالكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك،كما يضيف أن الجهل بأسباب التنزيل يوقع في الشبه والإشكالات.[2]

د . مراعاة الإطار المقامي لنزول النص:

وذلك من خلال معرفة زمان ومكان النزول وكذا التقاليد والعقائد التي كانت سائدة وقت النزول لأن المعرفة بما سبق يبعد من أراد فهم القران الوقوع في اللبس والإشكالات.[3]

1 ينظر : المرجع السابق ، ص 80 .

2 ينظر: المرجع السابق، ص80 -81 .

3 ينظر: المرجع السابق، ص81 .

وليست دراسة الأصوليين للمطلق والمقيد إلا مراعاة للسياق اللفظي العام للقرآن والسنة، ودراستهم للمعاني المتنوعة المتعددة التي ترد بها صيغة الأمر تكشف عن إدراكهم لأثر السياقيين اللفظي والحالي في تحديد المعنى المراد.[1]

لقد ساهم الأصليون بشكل لا يستهان به في التنبه إلى الدور الكبير والمهم لسياق.

7 . السياق عند اللسانين الغرب:

اهتم علماء الغرب بالسياق وتداولوه في دراساتهم وبحوثهم ،ومن بين هؤلاء العلماء العالم (مالينوفسكي)، الذي درس عدداً من اللغات البدائية، في جزر تروبرياند، وعانى في أثناء عمله من صعوبات في ترجمة النصوص، وأخفق في الوصول إلى ترجمات مرضية لها ، ووجد أنها لا يمكن أن تؤدي معنى، إلا إذا عُرف الحال التي كان عليها المتكلم حين نطق بها.[2]

فوظيفة اللغة عند (مالينوفكسي)هي:أسلوب عمل وليس توثيق فكر، مع الاحتفاظ بكونها وسيلة اتصال بين الناس ، وبذلك يكون أول من استعمل مصطلح سياق الحال Situation Context of ويعني هذا المصطلح:" الموقف الفعلي الذي حدث فيه الكلام ، ولكنه يقود إلى نظرة أوسع للسياق تضم الخلفية الثقافية التي وضع الحدث الكلامي بإزائها" [3]، وفي حديث

1 خالد عبود حمودي الشيخلي،نظر في نظرية السياق دراسة بين القدماء والمحدثين،ص12 .

2 أ.جبريل محمد عثمان،(مجلة العلوم الشرعية،نظرية السياق عند فيرث)،العدد 2 ،ب،س،كلية التربية،جامعة المرقب،ص255-256 .

3 المرجع انفسه، ص 256 .

مالينوفكسي عن سياق الحال، أوجد ما يسمى ب (التجامل) وذهب إلى " أن كثيرا ما نتكلم به لا يقصد به أساساً التفاهم، أو تقديم المعلومات، أو إصدار الأوامر ، أو التعبير عن الآمال والرغبات و إثارة العواطف ، وإنما يستعمل لخلق شعور بالتفاهم الاجتماعي والمعاملة، وكثير من العبارات المعدة أصلاً-مثل- HOW DO YOU DO-المحددةاجتماعياً قد تخدم هذا الغرض أي :التجامل" [1]،لقد قدم مالينوفكسي مفهوما جديداً للغة:وهو سياق المجتمع الذي أنتج اللغة،إن:"السياق الذي قصده مالينوفكسي هو البنية الطبيعية، أو الواقع الثقافي للمجتمع ،ثم تطور باستعمال فيرث له في دراسته اللغوية[2].

ولقد تبنى (فيرث) سياق الحال الذي جاء به (مالينوفكسي) ،لكنه لم يكتف به بل تعداه إلى الدراسة اللغوية الصوتية،الصرفية،النحوية،المعجمية لتكتمل الدراسة الدلالية[3].

ونظرية (فيرث) السياقية تنطلق في دراسة السياق من خلال مجموعة الوظائف اللغوية: "الصوتية-المورفولوجية-النحوية-المعجمية-الدلالية،فيدرس المعنى على المستويات جميعها، ويجب أن ترتبط بسياق الحال، ولقد أعطى (فيرث) اهتماماً كبيراً للسياق، وعده الأساس لعلم الدلالة . [4] وبالتالي (فيرث) إهتم بالسياق اللغوي المرتبط بسياق الحال.

1 المرجع السابق، ص 256 .

2 المرجع السابق ، ص 256 .

3 أ.د محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة،(مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها،ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث)،العدد18 ،2014 م،كلية الأداب، جامعة تشرين اللاذقية،سوريا، ص 5 .

4 المرجع نفسه، ص 6 .

أما العالم اللغوي الفرنسي (فندريس) فقد اهتم بسياق المقال، لا سياق الحال، يقول:"إننا حينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد ، نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما ، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص . أما المعاني الأخرى جميعها فتنمحي وتتبدد،ولا توجد إطلاقا فلا تتعدد المعاني للكلمة لأن استعمالها داخل السياق يعطيها معنى واحدًا لا غير"[1].

ونجد العالم (هاليداي) دعا إلى الارتباط الاعتادي لكلمة ما،في لغة ما،بكلمات أخرى معينة وهذا ما يقصد به التساوق أو الرصف اقتصر فيها على السياق اللغوي،فتحديد الكلمة عند (هاليداي) تعتمد على النظر إلى مجموعة الكلمات التي تقع معها في السياق اللغوي، فمعنى كلمة (منصهر) يرتبط بمجموعة من الكلمات: حديد–نحاس–ذهب–فضة، ولكن ليس مع (جلد) مطلقاً ، وعدم تلاؤم (جلد) مع هذه المجموعة لا يكفي لعدم صحة الارتباط ، أو توافق الوقوع بين (جلد) و (منصهر)[2].

ولذا يلجأ إلى الدليل الشكلي لإثبات عدم الملائمة ، وسيثبت الدليل الشكلي أن الحديد والنحاس والذهب...تتقاسم عدداً من الترابطات مثل الصلابة ، والثقل ، والبريق، والبرودة...التي لا توجد في مجموعة الجلد ، وإنما يوجد بدلاً منها صفات الخفة والليونة وانطفاء اللون [3].

1 أ.جبريل محمد عثمان، نظرية السياق عند فيرث ، ص 257 .

2 المرجع نفسه، ص 258 .

3 المرجع نفسه ، ص 258 .

وأما "ستيفن أولمان" فيؤكد على أهمية السياق بقوله: "إن نظرية السياق–إذا طبقت بحكمة– تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن ، إنها مثلاً قد أحدثت ثورة في طرق التحليل الأدبي، ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتا وقد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها"[1].وبالتالي فأولمان قد أدرك أهمية السياق في فهم النصوص اللغوية.

كما يرى أولمان أنه لو روعي السياق بدقة و اطراد لأمكن التخلص من الكثير من الاقتباسات والترجمات والتفسيرات الكثيرة الخاطئة،فكثير من النصوص نجد صعوبة في فهمها على الوجه الدقيق بسبب قطعها عن السياق أو غيبة بعض عناصره.[2]

وقد ذهب (يول) و(براون) إلى أن محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهرفيه الخطاب (والسياق لديهما يتشكل من المتكلم / الكاتب والمستمع/القارئ، والزمان والمكان)،لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب.[3]

1 أ. محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة ، ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث ، ص 8 .

2 فطومة لحمادي (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الإجتماعية،السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي)،العددان الثاني والثالث، 2008 م ،كلية الآداب ، جامعة محمد خيضر بسكرة،الجزائر، ص 19 .

3 المرجع نفسه ، ص 20 .

ونجد كذلك اللّغوي (جيفري ليتش) الذي يرى أنّ السياق يمثل في أحد أحواله حجرّ الزاوية في العملية التّفسيرية أو التأويلية، ويحدّدجملة طُرق يمكن بواسطتها تعيين المعنى، أولها: أنّ السياق يُزيل بعض المعاني الغامضة أو المتعدّدة في الرّسالة، وثانيا: يُظهر السِّياق ويشير إلى إحالات بعض أنماط الكلام،كالتي يسميّها deictic مثل :هذا،الذي ،هنا ،هناك،الآن،إذن...أو مثل:جون،و أنا،أنت،هو،رجل...وثالثاً:أنَّ السياق يزوّدنا بالمعلومة التي أهملها (المتكلم\ الكاتب)عند الحذف ويضرب لذلك مثالاً جملة (جانيت الحمير!) مثلاً بدل (جانيت أجلبي تلك الحمير هنا !) وغيرها كثيرمن الاحتمالات اللّغوية المناسبة غير المحدّدة.[1]

وصدّر اللّغوي (كروز) كتابه (LEXICAL SEMANTICS) بمهادٍ أكّد فيه على أنّ

"...المنهج المتبنىَّ في هذا الكتاب والذي يصفه هذا الفصل التّمهيدي،هو نوع من المنهج السِّياقي،ومن المفترض أن يظهر الخصائص الدلالية للمادّة المعجميّة كليًا،في مظاهر ملائمة من العلاقات المرتبطة بسياقات حقيقية وممكنة..."، والتّواصل في نظره لا يتمُّ بكلمات منعزلة أو مفردة ، لأنّ الكلمات لا تحمل في ذاتها وسائل تواصلية فكما يقول:"نحن نتواصل بعبارات"، أي لا معنى للمفردات إلاَّ مجتمعةً مع مجاورتها في السّلسلة الكلامية، ويلعب السِّياق–عندئذٍ– دور

1 أ.غنيمة تومي ،(مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ،السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث)،العدد6 ،2010 م،كلية الأداب واللغات ،جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، ص 14 .

المرشَّح للمعنى، والمحفِّز للعملية المنتجة للدلالة ،من خلال تنشيط مجموعة القواعد والمبادئ التي تنشئ المعنى المقصود [1].

ولقد ذهب (فان ديك) في مقاله–"النص بيانته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص" إلى تقسيم السياق إلى مستويات وهي:–السياق التداولي(النص كفعل كلامي) :وهو عدم الإكتفاء في دراسة النص والملفوظات اللغوية على الشكل فقط و إنما التركيز أيضا على وضائف هذه النصوص.[2] –السياق الإدراكي أو المعرفي:(فهم النصوص):حيث أنه لكل نص مجموعة من العوامل التي تساعد على فهمه بحيث تمكن القارئ من معالجة النص في مواقف خاصة وبالتالي تساعده على تفسيره ، – السياق النفسي الاجتماعي:(تأثير النصوص):وهو المفعول الذي تحدثه النصوص على مستعملي اللغة سواء فرديا أو جماعيا، –السياق الاجتماعي:(النص في التفاعل):أي الاهتمام بالعلاقات القائمة بين السياق الاجتماعي واستعمال اللغة.[3]

–السياق الثقافي:(النص كظاهرة ثقافية):حيث من خلال النص يمكن أن نستخرج بعض الخلاصات التي تهم البنية الاجتماعية للمجموعات الثقافية.[4]

1 المرجع السابق ، ص 14– 15 .

2 ينظر: أ .فطومة لحمادي ، السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي ، ص 8 – 9 .

3 المرجع نفسه ، ص 9 – 10 .

4 المرجع نفسه، ص 11 .

أما (أوستين) فلقد أشار إلى أنّ هناك مجموعة من الوسائل اللغوية التي يمكن للمرء أن يستخدمها للكشف عن أدائية (إنجازية) منطوق ما ومن هذه الوسائل[1]:

1–صيغة الفعل : كصيغة الأمر حيث يقول " أوستين" : "ومن أرجح معاني الأمر كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب أو الإباحة أو التهديد...،ولقد أعطى "أوستين" مثال حول ذلك والمتمثل في (أغلق الباب) ويشير إلى أنه يفهم من السياق معاني متعددة ، 1 –السياق الإدراكي أو المعرفي:(فهم النصوص):حيث أنه لكل نص مجموعة من العوامل التي تساعد على فهمه بحيث تمكن القارئ من معالجة النص في مواقف خاصة وبالتالي تساعده على تفسيره ، – السياق النفسي الاجتماعي:(تأثير النصوص):وهو المفعول الذي تحدثه النصوص على مستعملي اللغة سواء فرديا أو جماعيا، –السياق الاجتماعي:(النص في التفاعل):أي الاهتمام بالعلاقات القائمة بين السياق الاجتماعي واستعمال اللغة.[2]

2–التشديد على الصوت وإيقاعه وتنغيمه بإمالته وغير ذلك من فنون القراة. 3 –الظروف النحوية وما تركب منها تركيبا إضافيا أو غير إضافي. 4–أدوات الربط بين أجزاء المنطوق عبر وسائل ربط من نحو(إذن ،بينما ،بالرغم من) مثال:سآتي إليك بالرغم من نزول المطر ، وهنا الكلام يصبح وعدا قابلا للإنجاز. 5– ما يصاحب التلفظ بالكلام ومتتبعاته وهنا يقصد به ما

1 ينظر: عماري محمد ، مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي،نظرية الخبر و الإنشاء أنموذجا، ص 170 .

2 المرجع نفسه، ص 9– 10 .

يصاحب الكلام من إشارات وحركات كعبوس الوجه، تحريك الأيدي...إلخ. 6 –ملابسات وأحوال التلفظ بالعبارة ويقصد بها الظروف المحيطة لعملية التلفظ.[1]

وبالتالي فأوستين أشار بوضوح لسياق اللغوي في الوسائل الأربعة الأولى ، كما أشار إلى السياق المقامي في الوسيلة الخامسة والمتمثلة في معضدات الكلام من الحركات المصاحبة للمنطوقات.[2]

ولقد خصصت(فرانسواز أرمينكو) الفصل الثاني من كتاب تداولية الدرجة الأولى التي تهتم أساساً بدراسة الرموز الإشارية (l'etude des symboles) ،وفي الباب الرابع والأخير تعالج مسألة السياق تحت عنوان "السياق: التنوع أو التوحيد" حيث تعتبر السياق مفهوما مركزيا يمتلك طابعه التداولي ولقد أشارت إلى أربعة أنماط من السياقات كما أنها أعطت مفهوماً موحداً للسياق ينضم إلى العوامل الممكنة انطلاقا من معالجة شكلية وتوسيعية للتداولية ،ولقد أشارت في هذه الأنماط إلى السياق الظرفي والفعلي والوجوديوالمرجعي، إضافة إلى السياق التفاعلي والذي يقصد به تسلسل أفعال اللغة في مقطع متداخل مثل "الخطابات" و أيضا السياق الإقتضائي ويقصد به الإعتقادات والإنتظارات والمقاصد التي يحدس بها المخاطبون [3]. وبالتالي فالسياق إحتل أهمية كبيرة ومتميزة بمختلف أنواعه سواء تعلق الأمر بعلماء العرب أو علماء الغرب.

1 ينظر: المرجع السابق، ص 172-171 .

2 ينظر: المرجع السابق، ص 171 .

3 ينظر: علي آيت أوشان السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، ص 60- 61.

8 - أهمية السياق :

يؤكد أولمان على أهمية السياق بقوله:"إن نظرية السياق –إذا طبقت بحكمة–تمثل حجر الأساس في علم المعنى".[1] كما يرى أولمان أنه بفضل السياق يمكن التخلص من الاقتباسات والترجمات والتفسيرات الكثيرة.[2]

ولقد أشار فندريس إلى أهمية السياق في التحليل اللغوي للنصوص فجاءت على النحو التالي:

1 –السياق :هو الذي يعين قيمة الكلمة، 2– السياق: هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدّل عليها، 3–السياق:هوالذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ،وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية، 4–لسياق أهمية كبيرة في عملية التخاطب وذلك من خلال تأثيره في المواقف بتعديلها أو تبديلها ، كما يساهم في رفع الإبهام عن الجمل.[3]

–يحتل السياق أهمية كبرى في التداولية، إذ يسهم في تحديد الخيارات اللغوية من بين الخيارات المتاحة.[4]

1 أ. جبريل محمد عثمان ، نظرية السياق عند فيرث ، ص 264 .

2 المرجع نفسه ، ص 264 .

3 ينظر : أ. شيتر رخيمة، التداولية و آفاق التحليل، ص 692 .

4 المرجع نفسه ، ص 3 .

وهكذا فالسياق مسألة ضرورية وحاسمة فهو يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة و وضوح ، ويمكننا من تحديد ودراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي في استعمال اللغة،و أي اسستغناء عن السياق سيجعل قناة التواصل متوترة ،لذا فهو يقوم بدور فعال في تواصلية الخطاب و انسجامه.[1]

1 أ. فطومة لحمادي ، السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي ، ص 23 .

الفصل الثاني الجانب التطبيقي :

مقاربة في سورة "طه".

1 . التعريف بسورة "طه":

هي سورة مكية أنزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، ما عدا الآيتان رقم 130 و 131 فقد نزلتا في المدينة المنورة، وقد انزلت بعد سورة مريم ، وترتيبها العشرون ، ويبلغ عدد آياتها مئة وخمسة وثلاثون آية ، ويبلغ عدد كلماتها ألف وثلاثمائة و إحدى و أربعون كلمة ، ويبلغ عدد حروفها خمسة آلاف ومائتان و اثنان و أربعون حرفا ، وتركز السورة المكية ككل على تعليم أصول الدين ، وجزاء الكافرون والجنة والنار ، وتعرض السورة الكريمة جزء من قصة سيدنا موسى عليه السلام.[1]

2 . فضل قراءة سورة "طه":

تعتبر سورة "طه" من السور ذات الفضل العظيم، وهي من السور التي تدعا الرسول صلى الله عليه وسلم لقراءتها، أخرج الدارمي وابن خزيمة في التوحيد والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن الله تبارك وتعالى قرأ "طه" و "يسين" قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا))؛ وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً نحوه ، و أخرج ابن مردويه عن

1 المرسال،أسباب نزول سورة طه، إيمان محمود،بتاريخ:6/25 /2020 م،سا :1:04:46 ، http://www.almrsal.com.

أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كل قرآن يوضع عن أهل الجنة فلا يقرؤون منه شيئاً إلاّ سورة "طه" و "يسن" فإنهم يقرؤون بهما في الجنة)) ، إلى غير ذلك من الآثار.[1]

3 . سبب تسمية سورة "طه" بهذا الاسم:

ابتدأت سورة "طه" بمخاطبة النّبي عليه الصّلاة والسّلام فقيل أنّ "طه "هو اسم للنَّبي الكريم وقيل أنّها أحرف كغيرها من الأحرف التي استفتحت بها سور أخرى في القرآن الكريم مثل سورة "ق"،وسورة "ص" وسورة مريم ، وكذلك قيل أنّ كلمة "طه" بالنّبطيّة تعني يا رجل وهو خطاب للنّبي الكريم عليه الصّلاة والسّلام.[2]

4 . أسباب نزول سورة "طه" :

نزلت هذه السورة لتسلي النبي صلى الله عليه وسلم وتثبت فؤاده وتهون عليه ما يلقاه من إعراض قريش ، وتؤكد له أن الله تعالى لم ينزل عليه القران ليجعل منه سببا للشقاء والمعاناة ولا ليفرضه على قريش ، فالقرأن إنما هو تذكرة وأما من أصر على الكفر فسيلقى جزاءه

ورُوي عن سبب نزول هذه السورة ، قال: أبو جبل والنضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم ، إنك لتشقى بترك ديننا وذلك لما رأياه من طول عبادته واجتهاده، فأنزل الله تعالى: ((طه(1) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ اَلْقُرْءانَ لِتَشْقَى (2))) (طه 1 -2). وما جاء أيضا في كتاب الواحدي

1 السيد محمود الألوسي البغداوي،ضبطه وصحّحه علي عبد الباري عطيّة،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج 8 ،دار الكتب العلمية بيروت،ط1 ،1994 م،لبنان،ص463 -464 .

2 موضوع، سبب نزول سورة طه ،طلال مشعل،بتاريخ 25 /6 /2020 م،سا:1:08:52 ،https://mawdoo3.com.

النيسابوري : أخبرنا أبو يحي قال: حدثنا أبو مالك عن جرير ، عن الضحاك قال : لما نزل القرأن على النبي صلى الله عليه وسلم قام هو و أصحابه فصلو ، فقال كفار قريش : ما أنزل الله هذا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم إلا ليشقى به فأنزل الله تعالى : "طه" يقول يا رجل ما أنزلنا عليك القران لتشقى "".[1]

5 . مواضيع سورة "طه":

- تبدأ السورة كما تختم بخطاب موجه لنبي صلى الله عليه وسلم لبيان مهمته وحدود تكاليفه ، فليست بشقوة فرضت عليه، وإنما هي فضيلة الدعوة والتذكرة دعوة الخلق إلى عبادة الله الواحد الذي لا إله غيره وتذكيرهم بيوم يرجعون فيه إلى الله.[2]

- كما اشتملت هذه السورة الكريمة على قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام حيث ذكرت خروجه من مصر هرباً من بطش الفرعون ومكوثه في مدين عددا من السّنين ثمّ كيف اصطفاه الله سبحانه وخصّه بالتّكليم و أيّده بالمعجزات وهي العصا التي تتحوّل إلى ثعبان مبين واليد التي تخرج بيضاء للنّاظرين ، وكيف أمره الله سبحانه بالذّهاب إلى فرعون وتحذيره من عذاب الله ،

1 ميرود سعاد، (مجلة المدونة مخبر الدراسات الأدبية والنقدية،الاستلزام الحواري في سورة "طه"تحليل تداولي وفق نظرية غرايس)،العدد الأول،2018 ،جامعة المدية،الجزائر،ص 329- 330 .

2 المرجع نفسه ص 330 .

وقد أتاه موسى مع أخيه عليهما السّلام وامرأه بأن يرسل بني إسرائيل،كما اشتملت هذه السّورة على ذكر يوم الزّينة حيث أظهر الله الحقّ وزهق الباطل فألقي السّحرة ساجدين.[1]

كما ذكرت الآية الكريمة قصّة سيّدنا آدم عليه السّلام وكيف أدخله الله الجنّة وبيّن له عداوة إبليس له وحذّره من مساعيه لإخراجه من الجنّة، كما ذكرت سورة "طه" أصول التّوحيد والعقيدة ، كما ذكرت صورًا من أهوال يوم القيامة وكيف ينسف الله الجبال نسفاً، وكيف يحشر الله المجرمين يوم القيامة عمياً بسبب أنّهم لم ينتفعوا بها في دنياهم فيبصروا آيات الله الصادقة في الآفاق، وختمتالسورة بتوجيهات ربّانيّة للّنبي الكريم بالصّبر والاستعانة بالتّسبيح.[2]

وموضوعات سورة "طه" نجملها في المخطط الأتي:

1 طلال مشعل، سبب نزول سورة طه ، https://mawdoo3.com.

2 نفس المرجع.

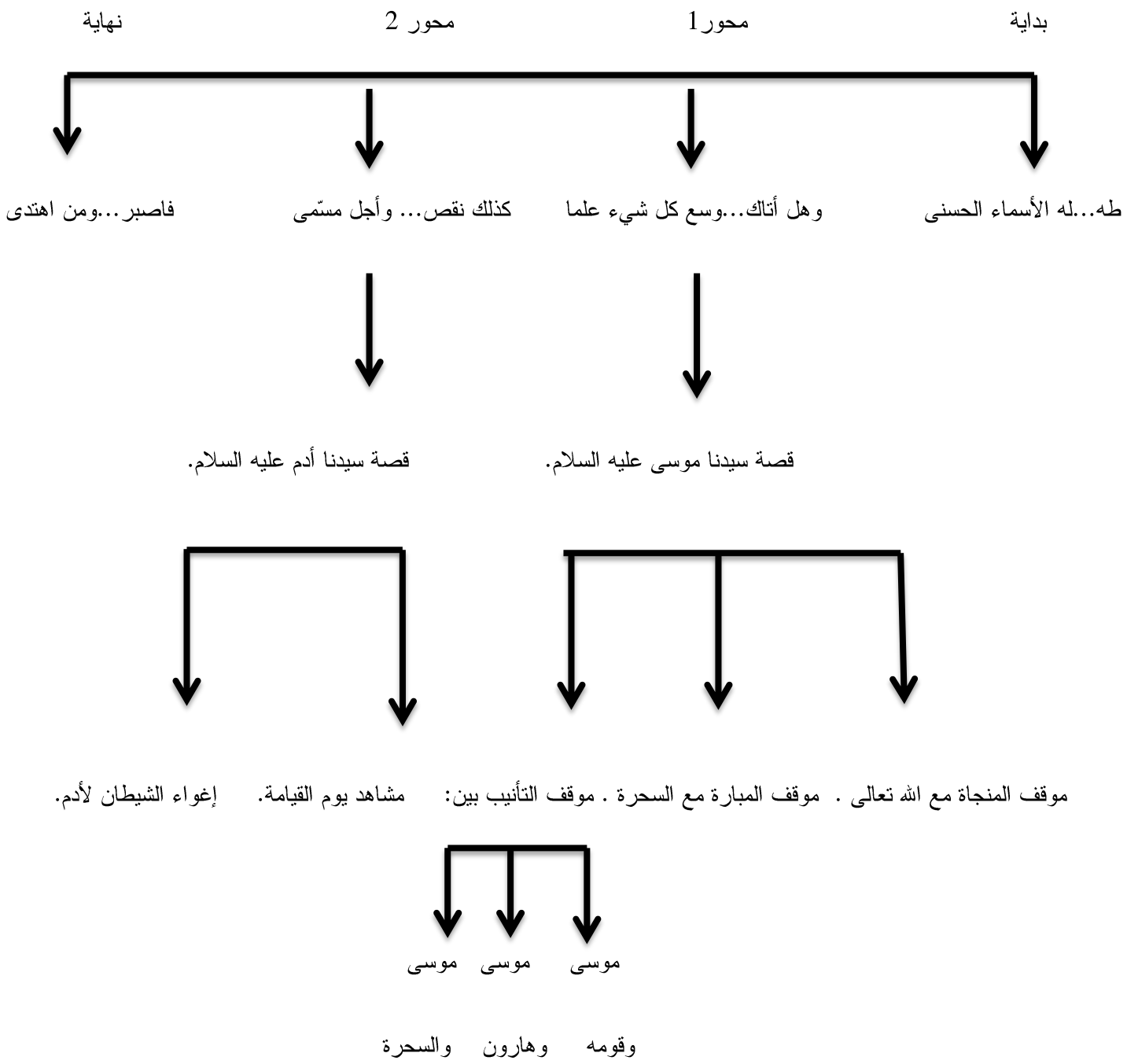

الشكل رقم 4 : مخطط يبين موضوعات سورة "طه"[1] .

1 ميرود سعاد،الاستلزام الحواري في سورة "طه"تحليل تداولي وفق نظرية غرايس ،ص 331 .

6 . أغراضها:

احتوت سورة "طه" على الأغراض التالية:

_ التحدي بالقرآن بذكر الحروف المقطعة في مفتتحها.

_ التنويه بأنه تنزيل من الله لهدي القابلين للهداية ، فأكثرها في هذا الشأن.

_ والتنويه بعظمة الله تعالى . وإثبات رسالة محمد –صلى الله عليه وسلم– بكلام الله موسى – عليه السلام –.

_ وبسط نشأة موسى وتأييد الله إياه ونصره على فرعون بالحجّة والمعجزات وبصرف كيد فرعون عنه وعن أتباعه.

_ إنجاء الله موسى وقومه ،وغرق فرعون،وما أكرم الله به بني إسرائيل في خروجهم من بلد القبط.

_ وقصة السامري وصنعه العجل الذي عبده بنو إسرائيل في مغيب موسى – عليه السلام–.

وكل ذلك تعريض بأن مآل بعثة محمد–صلى الله عليه وسلم – صائر إلى ما صارت إليه بعثة موسى– عليه السلام– من النّصر على معانديه. فلذلك انتُقل من ذلك إلى وعيد من أعرضوا عن القرآن ولم تنفعهم أمثاله ومواعظه.[1]

_ وتذكير الناس بعداوة الشيطان للإنسان بما تضمنه قصة خلق آدم.

---

1 الأستاذ الإمام السيخ محمد الطاهر بن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،ج 16 ،الدار التونسية للنشر ،دط ،1984 ، تونس ، ص181 –182 .

_ ورُتب على ذلك سوء الجزاء في الآخرة لمن جعلو مقادتهم بيد الشيطان و إنذارهم بسوء العقاب في الدنيا.

_ وتسلية النبي_ صلى الله عليه وسلم_ على مايقولونه وتثبيته على الدين.

_ وتخلّل ذلك إثبات البعث . وتهويل يوم القيامة وما يتقدمه من الحوادث والأهوال.[1]

7 . السياق في سورة "طه":

يظهر السياق في هذه السورة في شوطين اثنين:

الأول: يتضمن مطلع السورة والمتمثل في الخطاب الموجه لرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد ذلك تظهر قصة موسى وهنا تظهر رعاية الله سبحانه وتعالى لمن يختارهم لإبلاغ رسالته حيث أنهم لا يشقون بها .

الثاني: يتمثل في مشاهد يوم القيامة وقصة أدم عليه السلام والذان يسيران في اتجاه مطلع السورة وقصة موسى ثم تختم السورة بما يشبه مطلعها ويتناسق مع جو السورة.[2]

1 المرجع السابق ، ص 182 .

2 سورة طه ، iefpedia.com ، بتاريخ 24 نوفمبر 2020 ، سا 21:00.

كما أن لهذه السورة إيقاعا موسيقيا من مطلعها إلى ختامها رخيا شجيا نديا والذي يظهر في المد مع الألف المقصورة في القافية كلها تقريبا[1] وهنا يظهر السياق اللغوي (السياق الإيقاعي).

_ ولتفصيل أكثر نقوم بتفسير و تحليل هذه السورة الكريمة.

8 .تفسير وتحليل سورة "طه" :

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيْمِ

{{ طه 1 مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ اَلْقُرْءَانَ لِتَشْقَى 2 إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَن يَخْشَى 3 تَنْزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ اَلأَرْضَ وَ اَلْسَّمَوَاتِ اَلْعُلَى 4 }} .(سوة طه 1 _ 4).

التفسير:

(طه) : قال المسدي: المعنى يا فلان ، وقيل معناه بالنبطية وبالعبرانية وبالسريانية يا رجل.[2]

1 المرجع السابق .

2 العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطيّة، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج 15 ، 16 ، دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الأولى ، 1994 م ،لبنان ، ص 464 .

وقال أبو حيان أن "طه" قسم بالحروف المقطعة أو اسم السورة على أنه شعر إسلامي كقوله ((حم لا ينصرون)).[1]

- وتعقب بأنه احتمال بعيد وهو كذلك في المثال وقد رواه النسائي مرفوعا ، ولفظ الخبر إذا لقيكم العدو فليكن شعلركم حم لا ينصرون وليس في سياقه دليل على ذلك ، ويحتمل أن يكون لا ينصرون مستأنفا والشعار التلفظ بحم فقط كأنه قيل: ماذا يكون إذا كان شعارنا ذلك فقيل : لا ينصرون.[2]
- و أخرج ابن المنذر و ابن مردوية عن ابن عباس أنه قسم أقسم الله تعالى به وهو من أسمائه سبحانه، وعن أبي جعفر أنه من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم.[3]

وقرأت فرقة منهم أبو حنيفة والحسن وعكرمة وورش **{{طه}}** بفتح الطاء وسكون الهاء فقيل : معناه يا رجل أيضا وقيل : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الأرض بقدميه فإنه عليه الصلاة والسلام كما روي عن الربيع بن أنس كان إذا صلى قام على رجل واحدة فأنزل الله تعالى **{{طه}}** إلخ.[4]

1 المرجع السابق ، ص 465 .
2 المرجع السابق ، ص 465 .
3 المرجع السابق ، ص 465 .
4 المرجع السابق ، ص 465 .

كما روي عن علي كرم الله وجهه ، والربيع بن أنس أنهما فسرا **{{طه}}** بطأ الأرض بقدميك يا محمد(ص).[1]

واختلف في إعرابه حسب الاختلاف المراد منه فهو على ما نقل عن الجمهور من أن المراد منه طائفة من حروف المعجم مسرودة على نمط التعديد افتتحت بها السورة لا محل له من الإعراب ، وكذا ما بعده من **قوله تعالى : {{ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لِتَشْقَى }}**. فإنه استئناف مسوق لتسلية الرسول (ص) عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فإن الشقاء شائع في ذلك المعنى.[2]

وقال مقاتل: إن أبا جهل والنضر بن الحارث والمطعم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأو كثرة عبادته : إنك لتشقى بترك ديننا و إن القرآن أنزل عليك لتشقى فرد الله عليهم ذلك بأنا ما أنزلناه عليك لما قالوا ، والشقاء في كلامهم يحتمل أن يكون بمعناه الحقيقي وهو ضد السعادة والتعبير به في كلامه تعالى من باب المشاكلة و إن أريد منه القرآن بتأويله المتحدي به من جنس هذه الحروف .[3]

{{ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى}} .نصبعلى الاستثناء المنقطع أي ما أنزلناه لشقائك لكن تذكيرا لمن شأنه أن يخشى "الله تعالى" و يتأثر بالإنذار لرقة قلبه ولين عريكته أو لمن علم "الله تعالى"

1 المرجع السابق ، ص 465 .

2 المرجع السابق ، ص 465- 466 .

3 المرجع السابق ، ص 466 .

أنه يخشى بالتخويف ، والجار والمجرور متعلق بتذكرة أو بمحذوف صيغة لها ، وخص الخاشي بالذكر مع أن القرآن تذكرة للناس كلهم لتنزيل غيره منزلة العدم فإنه المنتفع به.[1]

{{تَنْزِيْلاً}}. أي أنت تعلم أن المعنى على هذا الوجه إلا تذكرة لمن يخشى المنزل من قادر قاهر وهو مما لا خلل فيه ، و أمر عدم المعهودية سهل.[2]

{{ مِمَنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَ اَلْسَماوَاتِ اَلْعُلى}}. متعلق بتنزيل ، وجوز أن يكون متعلقًا بمضمر هو صفة مِكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ، ونسبة التنزيل إلى الموصول بطريق الالتفات إلى الغيبة بعد نسبة الإتزال إلى نون العظمة لبيان فخامته تعالى شأنه بحسب الأفعال والصفات إثر بيانها بحسب الذات بطريق الإبهام تم التفسير لزيادة تحقيق تقرير.[3]

وتخصيص خلق الأرض والسموات بالذكر أن المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما ، لأصالتهما و استتباعهما لما عداهما ، وقيل : المراد بهما في جهة السفل وما في جهة العلو ، وتقديم خلق الأرض قيل لأنه مقدم في الوجود على خلق السموات السبع.[4]

1 المرجع السابق ، ص 467 .
2 المرجع السابق ، ص 468 .
3 المرجع السابق ، ص 468 .
4 المرجع السابق ، ص 468 .

ونقل الواحدي عن مقاتل أن خلق السموات مقدم ، واختاره كثير من المحقيقين لتقديم السموات على الأرض في معظم الأيات ، واختار بعض المحققين أن خلق السموات بمعنى إيجادها بمادتها قبل خلق الأرض وخلقها بمعنى إظهارها بآثارها بعد خلق الأرض وبذلك يجمع بين الآيات التي يتوهم تعارضها ، وتقديم السماوات في الذكر على الأرض تارة والعكس أخرى بحسب اقتضاء المقام.[1]

وبالتالي نلاحظ من بداية هذه السورة سياق اللطف والتسلية بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه والشد من أزرهم وتقويتهم في مواجهة أعدائهم في تللك المرحلة الصعبة التي يوجهنها أثناء دعوتهم والتأكيد أن العاقبة لهم ، وأن الدين والقرآن سبب لهم للفوز في الدنيا والأخرة، كما أن الأمر نفسه ينطبق على قصة موسى عليه السلام حيث أتت قصته في هذه السورة لما يناسب هذا السياق فلقد قصت علينا لطف الله بعبده موسى في مبدأ الوحي،وتكريمه له بالتكليم في الواد المقدس ولتفصيل أكثر في هذا الأمر سأذكر الأيات التي وردت فيها قصة موسى عليه السلام مع التفسير ومواضع السياق.

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيْمِ

1 المرجع السابق ، ص 468 .

{{وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى 9 إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ أُمْكُثُوَاْ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِيْ ءَاتِيكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى اَلنَّارِ هُدًى 10 فَلَمَّا أَتَيهَا نُودِىَ يَمُوسَى 11 إِنّي أَنَاْ رَبُّكَ فَاْخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ اَلْمُقَدَّسِ طُوى 12 }}.(طه 9 – 10).

أعقب تثبيت الرسول على التبليغ والتنويه بشأن القرآن بالنسبة إلى من أنزله ومن أنزل عليه بذكر قصة موسى _ عليه السلام _ ليأتنس به في الصبر على تحمل أعباء الرسالة ومقاساة المصاعب.[1] وتسليةٌ له بأن الذين كذبوه سيكون جزاؤهم جزاء من سلفهم من المكذبين ، ولذلك جاء في عقب قصة موسى قوله تعالى {{ وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه}}، وجاء بعد ذكر قصة آدم و أنه لم يكن له عزم {{فاصبر على مايقولون}} الآيات.[2]

فجملة **{{ هل أتاك حديث موسى}}** عطف على جملة **{{ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}}**.الغرض هو مناسبة العطف كما تقدّم قريبا وهذه القصة تقدّم بعضها في سورة الأعراف وسورة يونس.[3]

والإستفهام مستعمل في التشويق إلى الخبر مجازا وليس مستعملا في حقيقته سواء كانت هذه القصة قد قصت على النبي _ صلى الله عليه وسلم _ من قبل أم كان هذا أول قّصصها

1 الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير ، ص 193 .

2 المرجع نفسه ، ص 193 .

3 المرجع نفسه ، ص 193 .

عليه، وفي قوله **{{ إذ رأى نارا}}** زيادة في التشويق كما يأتي قريبا.[1]

و أورث حرف (هل) في هذا المقام لما فيه من معنى التحقيق لأن (هل) في الاستفهام مثل (قّد) في الإخبار.[2] وهنا يظهر سياق المقام.

و (إذ) ظرف للحديث ، وقد تقدّم نظائره . وخص هذا الظرف بالذكر لأنّه يزيد تشويقا إلى استعلام كنة الخبر ، لأنّ رؤية النّار تحتمل أحوالا كثيرة.[3]

ورؤية النّار تدلّ على أن ذلك كان بليل ، وأنّه كان بحاجة إلى النّار ولذلك فرع عليه: **{{فقال لأهله امكثوا...}} الخ.** والأهل : الزوج والأولاد كانوا معه بقرينة الجمع في قوله: **{{امكثوا}}.**[4]

والإيناس : الإبصار البيّن الذي لا شبهة فيه ، والقبس ما يؤخذ اشتعاله من اشتعال شيئ ، وهذا يقتضي أنه كان في ظلمة ولم يجد ما يقدح به.[5]

ومعنى **{{ أو أجد على النّار هدى}}** : أو ألقّى عارفا بالطريق قاصدا السير فيما أسير فيه فيهديني إلى السبيل ، قيل : كان موسى قد خفي عليه الطريق من شدّة الظلمة وكان يحب أن

1 المرجع السابق ، ص 193 .
2 المرجع السابق ، ص 193 .
3 المرجع السابق ، ص 194 .
4 المرجع السابق ، ص 194 .
5 المرجع السابق ، ص 194 .

يسير ليلاً ، و (أو) هنا للتخيير لأنّ إتيانه بقبس أمر محقق فهو إما أن يأخذ القبس لا غير ، و إما أن يزيد فيجد صاحب النّار قاصدا الطريق مثله فيصحبه.[1] وهنا تظهر لنا القصدية.

و أراد بالهدى صاحب الهدى، وقد أجرى الله على لسان موسى معنى هذه الكلمة إلهاما إياه أنه سيجد عند تللك النّار هدى عظيما ، ويبلغ قومه منه ما فيه نفعهم ، و إظهار النّار لموسى رمز رباني لطيف إذ جعل اجتلابه لتلقي الوحي باستدعاء بنور في ظلمة رمزا على أنه سيتلقى ما به إنارة ناس بدين صحيح بعد ظلمة الضلال وسوء الاعتقاد.[2] ومن خلال تفسير هذه الأيات نلاحظ أنها سرد لقصة موسى عليه السلام والذي يتمثل في السياق القصصي ، كما تظهر لنا وصف لحالة موسى وهو يبحث عن القبس وبإطمئنانه بإنه سيرجع إلى أهله ، سياق الحال (الإطمئنان) وهذا من لطف الله به.

كما تظهر لنا حالة موسى عليه السلام وهو يتجه إلى النار التي رأها وهوفي ظلام الليل (سياق الحال).

{{ فَلَمَّا أَتَيَهَا نُودِيَ يَموسَىَ 11 إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى 12 وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى 13 }}.

بني فعل النداء للمجهول زيادة في التشويق إلى استطلاع القصة، فإبهام المنادي يشوّق سامع الآية إلى معرفته فإذا فاجأه **{{إنّي أنا ربك}}**. علم أنّ المنادي هو الله تعالى فتمكن في

1 المرجع السابق ، ص 194 -195 .

2 المرجع السابق ، ص 195 .

النفس كمال التمكن ، ولأنه أدخل في تصوير تلك الحالة بأن موسى ناداه مناد غير معلوم له، فحكي نداؤه بالفعل المبني للمجهول.[1]

وجملة **{{إنّي أنا ربّك}}** بيان لجملة **{{نُودي}}**. وبهذا النداء علم موسى أنَّ الكلام موجه إليه من قبل الله تعالى لأنه كلام غير معتاد والله تعالى لا يغيّر العوائد التّي قررها في الأكوان إلاّ لإرادة الإعلام بأنّ له عناية خاصة بالمغيّر ، فالله تعالى خلق أصواتا خلّقا غير معتاد غير صادرة عن شخص مشاهد ، ولا موجهة له بواسطة ملّك يتولى هو تبليغ الكلام لأن قوله **{{إنّي أنا ربك}}**.ظاهر في أنه لم يبلّغ إليه بواسطة الملائكة، فلذلك قال الله تعالى :{{ وكَلّم اللّه موسى تكليما}} إذ علم موسى أن تلك الأصوات دالة على مراد الله تعالى.[2]

والإخبار عن ضمير المتكلّم بأنه ربّ المخاطب لتسكين روعة نفسه من خطاب لا يرى مخاطِبه فإن شأن الرب الرفق بالمربوب ، وتأكيد الخبر بحرف (إنّ) لتحقيقه لأجل غرابته دفعا لتطرق الشك عن موسى في مصدر هذا الكلام.[3]

وقرأ أبو عمرو وابن كثير {{ أني}} _بفتح الهمزة _ على حذف ياء الجر . والتقدير : نودي بأني أنا ربّك ، والتأكيد حاصل على كلتا القرتين.[4] وهنا نلاحظ الإشاريات الشخصية والخطابية وتفريع الأمر بخلع النّعلين على الإعلام بأنّه ربّه إشارة إلى أن ذلك المكان قد حلّه

1 المرجع السابق ، ص 195 .
2 المرجع السابق ، ص 196 .
3 المرجع السابق، ص 196 .
4 المرجع السابق ، ص 196 .

التقديس بإيجاد كلام من عند الله فيه ، والخلع فصل شيء عن شيء كان متصلا به، وإنما أمره بخلع نعليه تعظيما منه لذلك المكان الذي سيسمع فيه الكلام الإلهي ، والواد المقرج بين الجبال والتلال والمقدس : المطهر والمنزه أما {{طوى}} فاختلف المفسرون في معناها حيث قيل : اسم لذلك المكان وقيل اسم مصدر مثل هدى أي طواه موسى بالسير في تلك الليلة ، كأنه قيل له : إنّك بالواد المقدس الذي طويته سيّرا ، فيكون المعنى تعيين أنّه هو ذلك الواد .[1]

وقوله : {{ وأنا اخترتك}} أخبر عن اختيار الله تعالى موسى ، وفرع على الإخبار باختياره أن أُمر بالاستماع للوحي لأنّه أثر الاختيار إذ لا معنى للاختيار إلاّ اختياره لتلقي ما سيوحي الله، والمراد : ما يوحى إليه حينئذ من الكلام ، وأما ما يوحى إليه في مستقبل الأيام فكونه مأمورا باستماعه معلوم بالأحرى.[2]وهنا أيضا نلاحظ الإشاريات الشخصية من خلال ضميري التعظيم .

ومن خلال الأيات السابقة تظهر لنا حالة موسى عليه السلام وهو يتلقى الرسالة والذي تمثل في السياق، كما يظهر لنا النداء من خلال سياق بين لنا عظم وجلالة الرسالة وذلك من خلال أمر الله تعالى من موسى عليه السلام بخلع نعليه وإخباره بأنه اختاره لحمل تكاليف رسالته وذلك من خلال ندائه وإضافة ربوبية الله إليه ، وهذا تلطف واضح .

1 المرجع السابق ، ص 196 .

2 المرجع السابق ، ص 196 -197 .

{{إِنَّنِيَ أَنَا اَللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوَةَ لِذِكْرِي [14] إِنّ اَلْسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى [15] فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَيهُ فَتَرْدَى [16] }}.(طه الأية 14 16).

هذا ما يوحى المأمور باستماعه ، فالجملة بدل من (ما يوحى) بدلا مطابقا، ووقع الإخبار عن ضمير المتكلّم باسمه العلّم الدالّ على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المجامد، وذلك أول ما يجب علمه من شؤون الإلهية ، وهو أن يعلم الاسم الذي جعله اللّه علما عليه لأن ذلك هو الأصل لجميع ما سيخاطب به من الأحكام المبلغة عن ربّهم.[1]

وفي هذا إشارة إلى أنّ أول ما يتعارف به المتلاقون أن يعرفوا أسماءهم ، فأشار الله إلى أنه عالم باسم كليمه وعلّم كليمه اسمه، وهو الله، وتوسيط ضمير الفصل بقوله **{{إنّني أنا الله}}** لزيادة تقوية الخبر ، وليس بمفيد للقصر ، إذ لا مقتضى له هنا لأنّ المقصود الإخبار بأنّ المتكلّم هو المسمى الله ، فالحمل حمل مواطاة لا حمل اشتقاق ، وجملة **{{لا إله إلاّ أنا}}** خبر ثان عن اسم (إنّ) والمقصود منه حصول العلم لموسى بوحدانية الله تعالى، ثم فرع على ذلك الأمر

1 المرجع السابق ، ص 198 – 199 .

بعبادته والعبادة تجمع معنى العمل الدال على التعظيم من قول وفعل وإخلاص بالقلب ، ووجه التفريع أن انفراده تعالى بالإلهية يقتضي استحقاقه أن يُعبد، وخصّ من العبادات بالذكر إقامة الصلاة لأنّ الصلاة تجمع أحوال العبادة ، وإقامة الصلاة : إدامتها ،أي عدم الغفلة عنها .[1]

واللاّم في **{{لذكري}}** للتّعليل ، أي أقم الصلاة لأجل أن تذكرني ، لأنّ الصلاة تذكّر العبد بخالقه ، إذ يستشعر أنّه واقف بين يدي الله لمناجاته ، ففي هذا الكلام إيماء إلى حكمة مشروعية الصلاة ويظهر أن التقوى من حكمة مشروعية الصلاة لأنّ المكلف إذا ذكر أمر الله ونهيه فعل ما أمره واجتنب ما نهاه عنه والله عرّف موسى حكمة الصلاة مجملة وعرّفها محمدّا- صلى الله عليه وسلم مفصّلة.[2]

ويجوز أن يكون اللاّم أيضا للتوقيت ، أي أقسم الصلاة عند الوقت الذي جعلتُه لذكري، ويجوز أن يكون الذكر الذكّر اللساني لأنّ ذكر اللّسان يحرّك ذكر القلب ويشتمل على الثناء على الله والاعتراف بما له من الحق ، أي الذي عنيّته لك، ففي الكلام إيماء إلى ما في أوقات الصلاة من الحكمة، وفي الكلام حذف يعلم من السياق.[3]

وجملة **{{إنّ الساعة آتية}}** مستأنفة لابتداء إعلام بأصل ثان من أصول الدّين بعد أصل التوحيد ، وهو إثبات الجزاء، والساعة :علم بالغلبة على ساعة القيامة أو ساعة الحساب، وجملة

1 المرجع السابق ، 198 – 199 .
2 المرجع السابق ، 199 .
3 المرجع السابق ، 199 – 200 .

{{أكاد أخفيها }}في موضع الحال من **{{الساعة}}**، أو معترضة بين جملة وعلّتها، والإخفاء : الستر وعدم الإضهار ، وأريد به هنا المجاز عن عدم الإعلام، ولمّا كانت الساعة مخفية الوقوع أي مخفية الوقت، كان قوله **{{أكاد أخفيها}}** غير واضح المقصود، فاختلفوا في تفسيره على وجوه كثيرة .[1] من بينها تأوّل أبو عليّ الفارسي معنى **{{أخفيها}}** بمعنى (أظهرها)، وقال : همزة **{{أخفيها }}** للإزالة مثل همزة أعجم الكتاب، وأشكى زيدًا ، أي أزيلُخفاءها ، والخفاء : ثوب تلفّ فيه القِربة مستعار للستر.[2]

وقوله **{{لتجزى}}** يتعلق ب **{{آتية}}** وما بينهما اعتراض وهذا تعليم بحكمة جعل يوم للجزاء، واللاّ في **{{لتُجزى كل نفس}}** متعلّق ب **{{آنية}}** ، ومعنى **{{بما تسعى}}** بما تعمل ، فإطلاق السعي على العمل مجاز مرسل،وفرع على كونها آتية وأنّها مخفاة التحذيرُ من أن يصدّه عن الإيمان بها قوم لا يؤمنون بوقوعها اغترارا بتأخر ظهورها ، فالتفريغ على قوله **{{أكاد أخفيها}}** أوقع لأنّ ذلك الإخفاء هو الذي يشبه به الذين أنكروا البعث على النّاس، وصيغ نهي موسى عن الصدّ عنها في صيغة نهي من لا يؤمن بالساعة عن أن يصدّ موسى عن الإيمان بها.[3]

1 المرجع السابق ، ص 200 .

2 المرجع السابق ، ص 200 .

3 المرجع السابق ، ص 200 – 202.

وزيادة **{{واتّبع هواه}}** للإيماء بالصلة إلى تعليل الصدّ ، أي لا داعي لهم للصدّ عن الإيمان بالساعة إلاّ اتّباع الهوى دون دليل ولا شبهة ، بل الدّليل يقتضي الإيمان بالساعة كما أشار إليه قوله **{{لتجزى كلّ نفس بما تسعى}}**، وفرع على النّهي أنّه صُدّ عن الإيمان بالساعة رَدِيَ، أي هلك.[1]

وقد جاء خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام بطريقة الاستدلال على كلّ حكم ، وأمر أو نهي، فابتدئ بالإعلام بأنّ الذي يُكلمه هو الله ، وأنّه لا إله إلاّ هو ،ثمّ فرع عليه الأمر في قوله**{{فاعبدني و أقم الصلاة لذكري}}** ثم عقب بإثبات الساعة ، وعلل بأنّها لتجزى كلّ نفس بما تسعى ، ثم فرع عليه النّهي عن أن يصده عنها من لا يؤمن بها، ثم فرع على النّهي أنّه إن ارتكب ما نهي عنه هلك وخسر.[2]

وفيما يلي رسم تخطيطي يبين الغرض الإنجازي لفعل الأمر في الأيات المذكورة أعلاه:

1 المرجع السابق ، ص 200- 203.

2 المرجع السابق ، ص 203.

الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
{{فاخلع نعليك}}	(إيقاع الأمر):خلع النعلين يقتضي قدسية المكان.
{{فاستمع لما يوحى}}	(إيقاع الأمر): الاستماع للوحي أثر للاختيار.
{{فأعبدني وأقم الصلاة لذكري}}	(إيقاع الأمر) : انفراده تعالى بالعبودية يقتضي استحقافه أن يعبد.

الشكل رقم 5 : مخطط يبين الغرض الإنجازي لفعل الأمر للأيات [12 13 14] من سورة طه.[1]

1 أ.ابتسام بن خراف،أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى عليه السلام، العدد12 ،2013 ،كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج خيضر باتنة،الجزائر ، ص 353 .

{{ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى [17] قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا و أَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَئَارِبُ أُخْرَى [18] قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى [19] فَأَلْقَاهَا فَاذَا هِيَ حَيَّة تَسْعَى [20] قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الاولَى [21] }}

بقية ما نودي به موسى ، والجملة معطوفة على الجمل قبلها انتقالا إلى محاورة أراد الله منها أن يُري موسى كيفية الاستدلال على المرسّل إليهم بالمعجزة العظيمة ، وهي انقلاب العصا حيّة تأكل الحيات التّي يظهرونها، وإبراز انقلاب العصاّ حية في خلال المحاورة لقصد تثبيت موسى ودفع الشك عن أن يتطرقه لو أمره بذلك دون تجربة لأنّ مشاهد الخوارق تسارع بالنفس بادئ ذي بدء إلى تأويلها وتُدخل عليها الشك في إمكان استتار المعتاد بساتر خفي أو تخييل ، فلذلك ابتدئ بسؤاله عما بيده ليوقن أنّه ممسك بعصاه حتّى إذا انقلبت حيّة لم يشك في أنّ تلك الحيّة هي التي كانت عصاه ، فالاستفهام مستعمل في تحقيق حقيقة المسؤول عنه.[1]

والقصد من ذلك زيادة اطمئنان قلبه بأنه في مقام الاصطفاء، وأن الكلام الذّي سمعه كلام من قبل الله بدون واسطة متكلّم معتاد ولا في صورة المعتاد، كما دلّ عليه قوله بعد ذلك **{{لنريك من آياتنا الكبرى}}**.[2] وهنا يظهر لنا سياق الإطمئنان.

1 الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير، ص 204 .

2 المرجع نفسه ، 204 -205 .

فظاهر الاستفهام أنّه سؤال عن شيئ أشير إليه، وبُنيت الإشارة بالظرف المستقر وهو قوله **{{بيمينك}}** ، ووقع الظرف حالا من اسم الإشارة ، أي ما تلك حال كونها بيمينك؟ ، ففي هذا إيماء إلى أن السؤال عن أمر غريب في شأنها ، ولذلك أجاب موسى عن هذا الاستفهام ببيان ماهية المسؤول عنه جريا على الظاهر ، وببيان بعض منافعها استقصاء لمراد السائل أن يكون قد سأل عن وجه اتخاذه العصا بيده لأنّ شأن الواضحات أن لا يسأل عنها إلاّ والسائل يريد من سؤاله أمراً غير ظاهر.[1]

فابتدأ موسى ببيان الماهية بأسلوب يؤذن بانكشاف حقيقة المسؤول عنه، وتوقع أن السؤال عنه توسل لتطلب بيان وراءه ، فقال: **{{هي عصاي}}** ،بذكر المسند إليه ، مع أنّ غالب الاستعمال حذفه في مقام السؤال للإستغناء عن ذكره في الجواب بوقوعه مسؤولا عنه ، فكان الإيجاز يقتضي أن يقول : عصاي ، فالماّ قال **{{ هي عصاي}}** كان الأسلوب أسلوب كلام من يتعجب من الاحتياج إلى الإخبار ، ولقد عقّب موسى جوابه ببيان الغرض من اتّخاذها لعلّه أن يكون هو قصد السائل فقال :**{{أتوكّأ عليها و أهُشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى}}** ، ففصل ثمّ أجمل لينظر مقدار اقتناع السائل حتى إذا استزاده بيانا زاده.[2]

1 المرجع السابق ، ص 205 .

2 المرجع السابق ، ص 205 – 206 .

والباء في قوله **{{بيمينك}}** للظرفية أو الملابسة، والتوكؤ:الاعتماد على شيئ من المتاع، والهش : الخبط ، وهو ضرب الشجرة بعصاً ليتساقط ورقها، ومآرب : جمع مأربه ، مثلث الراء : الحاجة،أي أمور احتاج إليها، وفي العصا منافع كثيرة ومن لطائف معنى الآية ما أشار إليه بعض الأدباء من أن موسى أطنب في جوابه بزيادة على في السؤال لأنّ المقام مقام تشريف ينبغي فيه طول الحديث.[1]

والضمير المشترك في **{{قال ألقها}}** عائد إلى الله تعالى على طريقة الالتفات من التكلّم الذي في قوله **{{إنني أنا الله}}** ، دعا إلى الالتفات وقوع هذا الكلام حوارا مع قول موسى **{{هي عصاي..}}** إلخ، وقوله **{{ألقها}}** يتضح به أن السؤال كان ذريعة إلى غرض سيأتي ، وهو القرينة على أن الاستفهام في قوله **{{وما تلك بيمينك}}** مستعمل في التنبيه إلى أهمية المسؤول عنه كالّذي يجيء في قوله **{{وما أعجلك عن قومك يا موسى}}**.[2]

والحيّة : اسم لصنف من الحنش مسموم إذا عضّ بنابيه قتل المعضوض ، ويطلق على الذكر، ووصف الحيّة ب **{{تسعى}}** لإظهار أنّ الحياة فيها كانت كاملة بالمشي الشديد، والسعي :

1 المرجع السابق ، ص 206 .

2 المرجع السابق ، ص 207 .

المشي الذي فيه شدّة ، ولذلك خصّ غالبا بمشي الرجل دون المرأة ،وأعيد فعل **{{قال خذها}}** بدون عطف لوقوعه في سياق المحاورة.[1]

والسيرة في الأصل : هيئة السير ، وأطلقت على العادة والطبيعة ، وانتصب **{{سيرتها}}** بنزع الخافض ، أي سنعيدها إلى سيرتها الأولى التي كانت قبل أن تنقلب حية ، أي سنعديها عصّا كما كانت أول مرّة، والغرض من إظهار ذلك لموسى أن يعرف أنّالعصا تطبعت بالانقلاب حيّة، فيتذكر ذلك عند مناظرة السّحرة لئلا يحتاج حينئذ إلى وحْي.[2] ومن خلال الأيات السابقة يظهر لنا فعلين كلاميين من خلال الطلبيات (الإستفهام) الذي ذكرناه كما يظهر في الإخبار في الأية **{{فَأَلْقَاها فَإِذَا هِيَ حَيَّة تَسْعَى }}**، إضافة إلى ذلك يظهر لنا سياق الحوارمن خلال الأيات السابقة.

{{ وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى [22] لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَتِنَا اَلْكُبْرَى [23] }}.

هذه معجزة أخرى علّمه اللّه إياها حتّى إذا تحدّى فرعون وقومَه عمل مثل ذلك أمام السحرة ، فهذا تمرين على معجزة ثانية مُتّحد الغرض مع إلقاء العصا.[3]

1 المرجع السابق ، ص 207 .

2 المرجع السابق ، ص 207 .

3 المرجع السابق ، ص 208 .

هنا يظهر لنا سياق الطف والتطمين وذلك من خلال لطف الله وتطمينه لموسى عليه السلام من خلال بعثه بآيتين وهما اليد والعصا اللتان هما حجتان ليواجه بها فرعون ، كما يظهر الفعل الكلامي والمتمثل في الطلبيات (الأمر) **{{ وَ اضْمُمْ }}**.

{{اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى [24] قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي[25] وَيَسِّر لِيَ أَمْرِي [26] وَاحْلُلْ عُقْدَةَ مِّن لساني [26] يَفْقَهُواْ قَوْلِي [27] وَاجْعَل لِّي وَزِيراً من أَهْلِي [28] هَرُونَ أخِي[29] اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي [30] وَ أَشْرِكْه فِي أَمْرِي [31] كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً [32] وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً [33] إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً [34] قَالَ قَدْ اوتيتَ سؤلَكَ يَمُوسَى [35].

لما أ ظهر الله له الآيتين فعلم بذلك أنّه مؤيد من الله تعالى، أمره الله بالأمر العظيم الّذي من شأنه أن يدخل الرّوع في نفس المأمور به وهو مواجهة أعظم ملوك الأرض يومئذ بالموعظة ومكاشفته بفساد حاله، وقد جاء في الآيات الآتية **{{قالا ربّنا إنّنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنّني معكما أسمع و أرى}}**. والذهاب المأمور به ذهاب خاص ،قد فهمه

موسى من مقدمات الإخبار باختياره ، وإظهار المعجزات له ، أو صرح له به وطوي ذكره هنا على طريقة الإيجاز ، على أنّ التّعليل الواقع بعده ينبئ به.[1]

فجملة **{{إنه طغى}}** تعليل للأمر بالذهاب إليه ، و إنما صلحت للتّعليل لأنّ المراد ذهاب خاص ، وهو إبلاغ ما أمر الله بإبلاغه إليه من تغييره عما هو عليه من عبادة غير الله ، ولما

1 المرجع السابق ، ص 210 .

علم موسى ذلك لم يبادر بالمراجعة في الخوف من ظلم فرعون ، بل تلقى الأمر وسأل الله الإعانة عليه ، بما يؤول إلى رباطة جأشه وخلق الأسباب التّي تعينه على تبليغه، و إعطائه فصاحة القول للإسراع بالإقناع بالحجة.[1]

وحكي جواب موسى عن كلام الرب بفعل القول غير معطوف جريا على طريقة المحاورات، ورتّب موسى الأشياء المسؤولة في كلامه على حسب ترتيبها في الواقع على الأصل في ترتيب الكلام ما لم يكن مقتض للعدل عنه.[2]

ومن خلال هذه الأيات تظهر لنا الأفعال الكلامية وذلك من خلال الطلبيات (أفعال الأمر)المتمثلة في : (اذهب ، اشرح ، يسر ،احلل،اجعل،اشدد). كما يظهر لنا فعل كلامي أخر في الأية الأخيرة والمتمثل في الالتزاميات (الوعد).

وذلك في قوله {{ قال قد أوتيت سؤالك يا موسى }} وعد له بالإجابة ، وتصديق له فيما توسمه من المصالح فيما سأله لنفسه ولأخيه.[3] كما يظهر من خلال الأيات السابقة سياق الحوار.

{{ وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى [37] إِذْ أَوْحَيْنَا إِلى أُمِّكَ مَا يُوحَى [38] أَنِ اقْذِفِيهِ فِي اَلتَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اَلْيَمُّ بالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِيَ [39].

1 المرجع السابق ، ص 210 .

2 المرجع السابق ، ص 210 .

3 المرجع السابق ، ص 214 .

ومن خلال هذه الأيات يظهر لنا أسلوب الخطاب والذي يمثل سياق المنة على موسى عليه السلام منذ ولادته وتكليمه من الله وكيفية إحاء الله إلى أمه أن تقذفه في التابوت ونجاته وأخذه من طرف فرعون وإلقاء الله محبة عليه ونموه عليه السلام على عيني الله سبحانه وتعالى كل ما ذكرناه يمثل منن الله على موسى عليه السلام.[1].

{{وَ لِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِيَ [39] إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَ دُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَّكْفُلُهُ ، فَرَجَعْنَكَ إلى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ولاَ تَحْزَنَ }}.

جملة **{{ولتصنع على عيني}}** عطف على جملة **{{إذ أوحينا إلى أمك}}**الخ، جُعل الأمران إتماما لمنة واحدة لأن إنجاءه من القتل لا يظهر أثره إلاّ إذا أنجاه من الموت بالذبول لترك الرضاعة،ومن الإهمال المفضي إلى الهلاك أو الوهن إذا ولي تربيته من لا يشفق عليه الشفقة الجبليّة، والتقدير : و إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله لأجل أن تُصنع على عيني، والصنع : مستعار للتربية والتنمية، تشبيها لذلك بصنع شيئ مصنوع،ومنه يقال لمن أنعم عليه أحد نعمة عظيمة : هو صنيعة فلان.[2]

وعطف نفي الحزن على قرّة العين لتوزيع المنّة ، لأن قرّة عينها برجوعه إليها ، وانتفاء حزنها بتحقق سلامته من الهلاك ومن الغرق وبوصوله إلى أحسن مأوى ، وتقديم قرّة العين على

1 ينظر المرجع السابق ، ص 215 -216- 217 .

2 المرجع السابق ، ص 218 .

انتفاء الحزن مع أنها أخص فيغني ذكرها عن ذكر انتفاء الحزن، روعي فيه مناسبة تعقيب **{{فرجعناك إلى أمّك}}** بما فيه من الحكمة ، ثم أكمل بذكر الحكمة في مشي أخته فتقول **{{هل أدلكم على من يكفله}}** في بيتها ، وكذلك كان شأن المراضع ذوات الأزواج كما جاء في حديث حليمة.[1] وهذه الأيات أيضا تمثل سياق الإمتنان.

{{وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَكَ مِنَ اَلْغَمِّ وَ فَتَنَّكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يَمُوسَى [40] واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيَ [41] }}.

فجملة ((وقتلت)) عطف على جملة ((ولقد منّنا عليك مرّة أخرى)) لأنّ المذكور في جملة ((وقتلت نفسا)) منّة أخرى ثالثة، وقدم ذكر قتله النفس على ذكر الإنجاء من الغم لتعظيم المنّة،حيث افتتحت القصّة بذكر جناية عظيمة التبعة ، وهي قتل النّفس ليكون لقوله ((فنجّيناك)) موقع عظيم المنّة ، إذ أنجاه من عقوبة لا ينجو من مثلها مثلُه، وهذه النفس هي نفس القبطّي من قوم فرعون الذي اختصم مع رجل من بني إسرائيل في المدينة فاستغاث الإسرائيلي بموسى لينصره فوكز القبطّي فقضى عليه كما قص ذلك في سورة القصص.[2]

والأيات التي ذكرناه تمثل سياق الإمتنان أيضا.

1 المرجع السابق ، ص 219 .

2 المرجع السابق ، ص 219– 220 .

{{ اذْهَبْ أَنْتَ وأَخوكَ بِئَايَتِي وَلاَ تَنِيَا فيِ ذِكْرِيَ [42] }}.

رجوع إلى المقصد بعد المحاورة ، فالجملة بيان لجملة ((اذهب إلى فرعون إنّه طغى))، أو هي استئناف بيانيّ لأنّ قوله ((واصطنعتك لنفسي)) يؤذن بأنّه اختاره وأعدّه لأمر عظيم لأنّ الحكيم لا يتّخذ شيئا لنفسه إلاّ مريدا جعلّه مظهرا لحكمته ، فيترقب المخاطب تعيينها ، وقد أمره هنا بالذهاب إلى فرعون وأن يذهب أخوه معه ، ومعنى ذلك أنه يبلّغ أخاه أن الله أمره بمرافقته ، لأنّ هارون لم يكن حاضرا حين كلّم الله موسى في البقعة المباركة من الشجرة ،ولأنه لم يكن الوقت وقت الشروع في الذهاب إلى فرعون، فتعين أن الأمر لطلب حصول الذهاب المستقبل عند الوصول إلى مصر بلد فرعون وعند لقائه أخاه هارون و إبلاغه أمر الله إياه ، فقرينة عدم إرادة الفور هنا قائمة.[1]

والباء للمصاحبة لقصد تطمين موسى بأنه سيكون مصاحبا لآيات الله، أي الدلائل التّي تدلّ على صدقه لدى فرعون، ومعنى {{لا تَنِيَا }} لا تضعفا،

يقال: ونَى ينِي ونَّى ، أي ضعف في العمل ، أي لا تنِ أنت وأبلغ هارون أن لا يني ، فصيغة النّهي مستعملة في حقيقتها ومجازها.[2]

1 المرجع السابق ، ص 223 .

2 المرجع السابق ، ص 223 .

ومن خلال هذه الأيات نلاحظ سياق التطمين ، كما نلاحظ فعلي الكلام من خلال الطلبيات فعلي الأمر (اذهب) والنهي (لا تنيا).

{{ اذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى [43] فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلّه ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [44] }}.

ويجوز أن تكون جملة (**اذهبا إلى فرعون**) بدلا من جملة (**اذْهَب أنتَ و أخوك**) ، فيكون قوله (**اذهبا**) أمراً لموسى بأن يذهب وأن يأمر أخاه بالذهاب معه وهارون غائب ، وهذا أنسب لسياق الجمل ، وتكون جملة ((**قالا ربّنا إنّنا نخاف**)) مستأنفة استئنافا ابتدائيا ، وقد طوي مابين خطاب الله موسى وما بين حكاية ((**قالا ربّنا إنّنا نخاف**)) الخ، والتقدير : فذهب موسى ولقي أخاه هارون ، وأبلغه أمر الله له بما أمره ، فقالا ربّنا إنّنا نخاف الخ... وجملة (**إنه طغى**) تعليل للأمر بأن يذهبا إليه ، فعلم أنّه لقصد كفه عن طغيانه.[1]

وفعل (طغى) رسم في المصحف آخره ألفا مُمالة ، أي بصورة الياء للإشارة إلى أنّه من طَغِي مثل رَضي، ويجوز فيه الواو فيقال : يطغو مثل يدعو، والقول اللّيّنُ: الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال ، بأن يظهر المتكلّم للمخاطب أنّ له من سداد الرأي

1 المرجع السابق ، ص 223 .

ما يتقبّل به الحق ويميّز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله.[1]

واللّين من شعار الدعوة إلى الحق والمقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى ، فإذا لم ينفع اللّين مع المدعوّ و أعرض واستكبر جاز في موعظته الإغلاظ معه ، والتذكر : من الذكر بضم الدال أي النظر ، أي لعلّه ينظر نظر المتبصّر فيعرف الحق أو يخشى حلولّ العقاب به فيُطيع عن خشية لا عن تبصر، وكان فرعون من أهل الطغيان واعتقاد أنّه على الحق فالتذكر: أن يعرف أنّه على الباطل ، والخشيةُ : أن يتردد في ذلك فيخشى أن يكون على الباطل فيحتاط لنفسه بالأخذ بما دعاه إليه موسى.[2]

ومن خلال هذه الأيات نلاحظ سياق الدعوة إلى الله كما نلاحظ أفعال الكلام من خلال الطلبيات (الأمر) ﴿**اذهبا ،فقولا** ﴾ و الالتزاميات (الترغيب) ﴿**قولا لينا**﴾ .

{{قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَّفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَّطْغَى [45] قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى[46] فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّك فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرءِيلَ وَ لاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَكَ بِئَايَةٍ

مِّن رَّبِكَ وَالسَّلَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى [47] إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ اَلْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى[48] قَالَ فَمَن رَّبُكُمَا يَمُوسَى [49] قَالَ رَبُّنَا اَلْذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى [50]

1 المرجع السابق ، ص 224 .

2 المرجع السابق ، ص 226 .

قَالَ فَمَا بَالُ اَلْقُرونِ الأُولىَ [51] قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي في كِتَابٍ لاَّيَضِلُّ رَبِّي و لاَ يَنَسى [52] }}.

تدخل هذه المحاورة في سياق الدعوة إلى الله ، لكن الدعوة إلى الله هنا مع فرعون الطاغية الظالم الذي يدعي البوبية ، ويرغم الناس على طاعته ، ويرفض الرجوع إلى الله تعالى ، كما أن العلاقة بين سيدنا موسى عليه السلام وفرعون علاقة تنافر ، فموسى عليه السلام قتل قبطيا لأجل إسرائيلي الشيء الذي أثار غضب الأقباط المقربين من فرعون فبنو إسرائيل كانوا مستعبدين و يُرغمون على القيام بالأعمال الشاقة ويُعذبون ويُقتلون ، وفي قتل قبطي لأجل إسرائيلي إهانة للأقباط لم يقبل بها فرعون ووعدهم بالقصاص من موسى عليه السلام.[1]

أما مكان المحاورة فهو مملكة فرعون أو مدينته وفي **(فَأَتَيَاهُ)** ، والإ تيان الوصول والحلول بالمكان الذي يتواجد فيه فرعون ، ومن المتوقع جدا أن يكابر فرعون ويرفض دعوة نبي الله موسى عليه السلام ، فهو الحاكم ، يتواجد وسط قومه في مدينته.[2]

قال موسى وهارون لفرعون {{ **فَأتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّك فَاَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرءِيلَ وَ لاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَكَ بِئَايَةٍ مِن رَّبِّكَ والسَّلامْ عَلَى مَنِ اتَّبَع اَلْهُدَى [47] إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ اَلْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَ تَولَّى [48] }}.**

1 ميرود سعاد، الاستلزام الحواري في سورة "طه" تحليل تداولي وفق نظرية غرايس، ص 332 –333 .

2 المرجع نفسه ، ص 333 .

بدأ موسى وهارون عليهما السلام حديثهما ب "إن" ليكون الخبر مؤكدا ولا يكون في نفس فرعون شك من كونهما رسولا ربّ العالمين مع أن المقام مقام إخبار و إبتداء وفي هذا القول تضمين ، فموسى وهارون عليهما السلام تقدّما هذه المرة إلى فرعون بصفة غير التي يعرفها ويستلزم قوليهما : "نحن مبعوثان من عند الله عز وجل فخاطبا كرسولين" مستغلين بذلك قاعدة الكيفية ليقولا إضافة إلى المعنى الظاهر شيئا أخرا، وعلى أساس أنهما رسولان يطلبان من فرعون أن يطلق سراح بني إسرائيل الذين كانوا مستغلين من قبل الأقباط في البناء وحمل الحجارة، وجاء الأمر هنا والنهي (فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم) مطابقين للمقام ولقواعد الحوار الأربعة ، وفي النهي إشارة إلى تعرض بني إسرائيل للتعذيب من قبل فرعون.[1]

أما قوليهما : {{قَدْ جِئْنَاكَ بِأَيَةٍ مِنْ رَّبِكَ والسَّلاَمْ عَلَى مَنِ اتَّبَع اَلْهُدَى}} فهو دليل قوليهما : **{{إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ}}**. فلكل نبي معجزاته ومعجزة موسى عليه السلام في العصا فمن أمن فعليه سلام الله من العذاب وفي هذا **{{ وَالسَّلاَمْ عَلَى مَنِ اتَّبَع اَلْهُدَى }}** استغلال لقاعدة الكيفية ويستلزم هذا القول "" **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ اَلْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَبَ وَ تَولَّى }}**.وهو استلزام حواري خاص ناتج عن استغلال قاعدة الكيف وتقدير القول: "إن كذبت وتوليت فإنك ستلقى العذاب" وهو كناية عن التحذير من العذاب في حال التكذيب والإعراض.[2]

1 المرجع السابق ، ص 333 .

2 المرجع السابق ، ص 333-334 .

قال فرعون : **{{قَالَ فَمَن رَّبُّكُماَ يَمُوسىَ}}** وجه فرعون الخطاب إليهما بالضمير المشترك ، ثم خصّ موسى بالنداء ، لعلمه أن موسى هو الأصل بالرسالة وهارون تابع له وكذلك لأن موسى معروف في بلاط فرعون فقد تربى فيه وفي سؤاله إنكار وإعراض ورفض للاعتراف بربوبية الخالق تعالى لذلك قال فرعون : **{{ رَّبُّكُماَ}}** ولم يقل **{{ربي}}** كما خوطب **{{إِنَّا رَسُولا ربّك}}** . ويظهر جليا رفض التعاون من قبل فرعون وعدم احترامه لقواعد التهذيب فهو يعارض ويتكلم بسخرية ، فأولا يخرق قاعدة الكيف ليخفي وراء سؤاله غير البريء كفره، ثم إنه يخرق متعمدا قاعدة المناسبة فقد كان موسى عليه السلام وأخوه قد طلبا من إطلاق سراح بني إسرائيل إلاَّ أنه لم يعر لطلبهما اهتماما ويسأل عن الشيء الذي يهدد مكانته بين الناس.[1]

وتجيء إجابة موسى عليه السلام عن سؤال فرعون مطابقة لقاعدة المناسبة فيستعمل لفظ "**ربنا**" قاصدا إثبات الربوبية لله تعالى لجميع الموجودات **{{ قَالَ رَبُّنَا اَلْذِي أَعْطىَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}}**. مستعملا قاعدة الاستدلال (بالكلية على الجزئية)، ففرعون من جملة الأشياء ، وجيء بفعل الإعطاء للتنبيه على أن الخلق والتكوين نعمة فهو استدلال على الربوبية وتذكير بالنعمة معا.[2]

1 المرجع السابق ، ص 334 .

2 المرجع السابق ، ص 334 .

وفي هذا القول استغلال لقاعدة الكيفية فموسى عليه السلام ذكر حجة تثبت ربوبية الله والقصد مما دفع التساؤل في نفس فرعون : تأمل هل أنت أعطيت الخلق؟ ، تأمل فإن الرب هو الذي أفاض الوجود والنعم على المخلوقات كلها ، وهذه الصفة في المواصلة إلى الاعتقاد الحق إضافة إلى ذلك فإن في كلامه ترتيب زمني ورتبي أي أنه تعالى خلق الأشياء ثم هدى إلى ما خلقهم لأجله ، وفي القول كله إيجاز ، فعلى اختصاره يجمع بين نعم الله تعالى على خلقه وهديه إياهم للطريق الموصلة إلى النجاة ، وفرّق بين طريق الحق وطريق الظلال لمن يرغب في الهداية والفلاح {{ وهديناه النّجدين}} (البلد 10) وهو قوام الحياة كلها.[1]

قال فرعون :**{{ فَمَا بَالُ اَلْقُرونِ الأُولىَ}}** هنا يبين فرعون بسؤاله عدم تعاونه مع مخاطبه حيث يسأل عن الأقوام السابقين وعن أحوالهم بعد الموت محاولا تعجيز موسى عليه السلام ، وهذا استلزام حواري معمّم ، جار في الاستعمال، ففرعون لا ينتظر جوابا من موسى عليه السلام ، ويعلم موسى عليه السلام أن خصمه يرغب في تعجيزه ليسقط مصداقيته أمام الحاضرين، قال موسى عليه السلام: **{{ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي في كِتَبٍ لاَّيَضِلُّ رَبِّي و لاَ يَنَسى }}.**[2]

أما سيدنا موسى عليه السلام فقد علم قصد فرعون المخادع لإبطال دعوته فأجاب إجابة يصرف بها فرعون عن الخوض فيما لا يجدي في مقامه ذلك من أحوال الأموات والاشتغال بالأخرى بالغرض الذي جاء من أجله ، ففي قوله :**{{ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي في كِتَابٍ}}** استلزام

1 المرجع السابق ، ص 334 – 335 .

2 المرجع السابق ، ص 335 .

حواري خاص ، يستغل من خلاله قاعدة المناسبة،فهو لم يقل صراحة ""لا علم لي بهم"" وإنما نسب علم حاليهم لله تعالى عالم الغيب أما استعماله للفظ "كتاب" فيحتمل أن يكون الكتاب هنا مجازا في تفصيل العلم تشبيها له بالأمور المكتوبة.[1]

لذلك قال :**{{ لاَّيَضِلُّ رَبِّي و لاَ يَنَسى }}** ليستغل موسى عليه السلام بهذا القول قاعدة الكمية الثانية لصالح قاعدة الكيف ، فهويقصد بإضافة **{{ لاَّيَضِلُّ رَبِّي و لاَ يَنَسى }}** إثبات بعض من صفات الربوبية وهو ما لا يملكه فرعون مدّعي الربوبية وكان يكفي أن يقول :**{{ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي في كِتَابٍ}}**.[2]

إضافة إلى ما ذكرناه سابقا نلاحظ أيضا الفعل الكلامي من خلال التعبيريات (الخوف) في قوله تعالى: **{{قَالاَ رَبَّنَا إنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَّفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَّطْغَى [45] }}**.كما يظهر سياق اللطف بالنبيين من خلال قوله تعالى: **{{إنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَ أَرَى}}**. وفي قوله تعالى: **{{إنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ}}**.

{{ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَ أَبَى [56] قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى [57] فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ مَكَانًا سِوًى [58] قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُّحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى [59] }}.

1 المرجع السابق ، ص335 .

2 المرجع السابق ، ص 335 .

{{ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَ أَبَى [56] }}. رجوع إلى قصص موسى عليه السلام مع فرعون ، وهذه الجملة بين الجمل التي حكت محاورة موسى وفرعون وقعت هذه كالمقدمة لإعادة سوّق ما جرى بين موسى وفرعون من المحاورة ، فيجوز أن تكون الجملة معطوفة على جملة **{{قال فمن ربكما يا موسى}}** باعتبار ما يقدرّ قبل المعطوف عليها من كلام حذف اختصارا، تقديره : فأتياه فقالا ما أمرناهما أن يقولاه قال فمن ربكما الخ المعنى : فأتياه وقالا ما أمرناهما و أريناه آياتنا كلها على يد موسى عليه السلام .[1]

ويجوز أن تكون الجملة معترضة بين ما قبلها ، والواو اعتراضية، وتأكيد الكلام بلام القسم و (قد) مستعمل في التعجيب من تصلّب فرعون في عناده ، وقصد منها بيان شدّته في كفره وإراءة الله إياه الآيات: إظهارها له بحيث شاهدها ، وتأكيد الآيات بأداة التوكيد (كلها) لزيادة التعجب من عناده.[2]

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى [57] فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ مَكَانًا سِوًى [58] قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى [59] ﴾ .

1 الأستاذ الإمام محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ص 242 .

2 المرجع نفسه ، ص 242 .

هذه الجملة متّصلة بجملة **{{قال فما بال القرون الأولى }}** وجواب موسى عنها . وافتتاحها بفعل **{{قال }}** وعدم عطفه لا يترك شكا في أن هذا من تمام المحاورة ، وقوله **{{ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ}}** يقتضي أنّه أراه آية انقلاب العصا حيّة ، وانقلاب يدّه بيضاء ، وذلك ما سمّاه فرعون سحرا، و إضافتهُ السحر إلى ضمير موسى قُصد منها تحقير شأن هذا الّذي سمّاه سحرا، وأسند الإتيان بسحر مثله إلى ضمير نفسه تعظيما لشأنه ، ومعنى إتيانه بالسحر : إحضار السحرة بين يديه ، أي فلنأتينّك بسحر ممن شأنهم أن يأتوا بالسحر، إذ السحر لا بد له من ساحر.[1]

والاستفهام في **{{ أَجِئْتَنَا}}** إنكاري ، ولذلك فرّع عليه القسم على أن يأتيه بسحر مثله ، والقسم من أساليب إظهار الغضب ، واللام لام القسم ، والنون لتوكيده ،وقصد فرعون من مقابلة عمل موسى بمثله أن يزيل ما يخالج نفوس النّاس من تصديق موسى وكونه على الحق ، لعلّ ذلك يفضي بهم إلى الثورة على فرعون و إزالته من ملك مصر.[2]

وفرّع على ذلك طلب تعيين موعد بينه وبين موسى ليُحضر له فيه القائمين بسحر مثل سحره، والموعد هنا يجوز أن يراد به المصدر الميمي ، أي الوعد و أن يراد به مكان الوعد ، وهذا إيجاز في الكلام ، وقوله **{{مكانا}}** بدل اشتمال من **{{موعدا}}** بأحد معنييه ، لأن الفعل

1 المرجع السابق ، ص 243- 244 .

2 المرجع السابق ، ص 245 .

يقتضي مكانا و زماناً فأبدل منه مكانهُ ، وقوله **{{لا نُخْلِفُهُ}}** في قراءة الجمهور برفع الفعل صفةً ل **{{ موعدا}}** باعتبار معناه المصدري ، وقرأه أبو جعفر بجزم الفاء من **{{نخلفْه}}** على أن (لا) ناهية ، والنّهي تحذير من إخلافه .[1]

ثم تعيين الموعد غير المخلّف يقتضي تعيين زمانه لا محالة ، إذ لا يتصوّر الإخلاف إلاّ إذا كان للوعد وقت معيّن ومكان معيّن ، فمن ثم طابقه جواب موسى بقوله **{{موعدُكم يوم الزينة و أن يُحشر الناس ضحى }}**، فيقتضي أن محشر النّاس في يوم الزينة كان مكانا معروفا ولعلّه كان بساحة قصر فرعون ، لأنهم يجتمعون بزينتهم ولهوهم بمرأى منه ومن أهله على عادة الملوك في المواسم،فقوله **{{ يوم الزينة}}** تعين للوقت ، وقوله **{{و أن يحشر النّاس }}** تعيين للمكان ، وقوله **{{ضحى}}** تقييد لمطلق الوقت، والضحى : وقت ابتداء حرارة الشمس بعد طلوعها، واختار موسى عليه السلام هذا الوقت وهذا المكان لأنّه يعلم أنه سيكون الفلج له ، فأحب ّ أن يكون ذلك في وقت أكثر مشاهدة و أوضح رؤيةً.[2]

ومن خلال هذه الأيات الكريمة نلاحظ سياق الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون ، كما تظهر لنا أفعال الكلام من خلال الطلبيات (الإستفهام الإنكاري): ﴿ **قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى**﴾.

1 المرجع السابق ، ص 245 .

2 المرجع السابق ، 246- 247 .

الإلتزاميات (الوعد) :﴿ **مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ مَكَانًا سِوًى [58] قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى [59]** ﴾ .

التعبيريات (الغضب) القسم في﴿ **فَلَنَأْتِيَنَّكَ**﴾.

الطلبيات (النهي) (لا) تحذير من إخلاف الوعد﴿ **لاَّ نُخْلِفُهُ**﴾.

الطلبيات(الأمر) ﴿ **فَاجْعَلْ**﴾.

كما تظهر الإشاريات في : **(محشر الناس)** إشاريات مكانية.

إشاريات زمانية ﴿**يوم الزينة**﴾ و ﴿**ضحى**﴾.

﴿ **فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى [60] قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى [61] فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى [62] قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى [63] فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى [64]** ﴾.

من خلال هذه الأيات نلاحظ سياق الحوار : موسى عليه السلام مع السحرة.

تفريع التولّي وجمع الكيد على تعيين موسى للموعد إشارة إلى أن فرعون بادر بالاستعداد لهذا الموعد ولم يُضيع الوقت للتهيئة له،ومعنى جمع الكيد : تدبير أسلوب مناظرة موسى ، و

إعداد الحيل لإظهار غلبة السحرة عليه ، و إقناع الحاضرين بأنّ موسى ليس على شيء ،وجملة **{{قال لهم موسى}}** مستأنفة استئنافا بيانيّا ، لأنّ قوله **{{ثم أتى}}** يثير سؤالا في نفس السامع أن يقول : فماذا حصل حين أتى فرعون ميقات الموعد ، و أراد موسى مفاتحة السحرة بالموعظة.[1]

والخطاب بقوله **{{ ويلكم }}** يجوز أن يكون أراد به حقيقة الدعاء ،فيكون غير جار على ما أمر به من إلانة القول لفرعون : إما لأنّ الخطاب بذلك لم يكن مواجها به فرعون بل واجه به السحرة خاصة الّذين اقتضاهم قوله تعالى **{{فجمع كيده}}** ، أي قال موسى لأهل كيد فرعون : و إما لأنّه لما رأى أن إلانة القول له غير نافعة ،إذ لم يزل على تصميمه على الكفر ، أغلظ القول زجرا له بأمر خاص من الله في تلك الساعة تقييدا لمطلق الأمر بإلانة القول ، كما أذن لمحمّد_صلّى الله عليه وسلّم _ بقوله **{{أذن للّذين يقاتّلون بأنّهم ظلموا }}** الآيات في سورة الحجّ و إما لأنّه لما رأى تمويههم على الحاضرين أنّ سحرهم معجزة لهم من آلهتهم ومن فرعون ربّهم الأعلى و قالوا: **{{بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون}}** رأى واجبا عليه تغيير المنكر بلسانه بأقصى ما يستطيع ، لأن ذلك التغيير هو المناسب لمقام الرسالة.[2]

1 المرجع السابق ، ص 247 – 248 .

2 المرجع السابق ، ص 248 – 249 .

وانتصب **{{ويلكم}}** إما على إظمار فعل على التحذير أو الإغراء ، أي الزموا ويلكم أو احذروا ويلكم،والإفتراء الذّي عناه موسى هو ما يخيّلونه للنّاس من الشعوذة ، ويقولون لهم ٱنظروا كيف تحرّك الحبل فصار ثعبانا ، ونحو ذلك من توجيه التخيلات بتمويه أنّها حقائق ، أو قولهم : ما نفعله تأييد من الله لنا ، أو قولهم : إن موسى كاذب وساحر ، أو قولهم : إن فرعون إلههم، أو آلهة ، وقد كانت مقالات كفرهم أشتاتا . [1]

وجملة **{{وقد خاب من افترى}}** في موضع الحال من ضمير **{{لا تفتروا}}** وهي مسوقة مساق التعليل للنّهي ، أي اجتنبوا الكذب على الله فقد خاب من افترى عليه من قبلُ، بعد أن وعظهم فنهاهم عن الكذب على الله و أنذرهم عذابه ضرب لهم مثلا بالأمم البائدة الّذين افتروا الكذب على الله فلم ينجحوا فيما افتروا لأجله، وفي كلام موسى إعلان بأنّه لا يتقول على الله ما لم يأمره به لأنّه يعلم أنّه يستأصله بعذاب ويعلم خيبة من افترى على الله، ومن كان يعلم ذلك لا يقدم عليه.[2]

الأيات [62 64]:

أي تفرع على موعظة موسى تنازعهم الأمر بينهم ، وهذا يؤذن بأن منهم من تركت فيه الموعظة بعض الأثر ، ومنهم من خشي الانخذال ، فلذلك دعا بعضهم بعضا للتشاور فيماذا

1 المرجع السابق ، ص 249 .

2 المرجع السابق ، ص 250 .

يصنعون، وتأكيد السحرة كون موسى وهارون ساحرين بحرف (إنّ) لتحقيق ذلك عند من يخامره الشكّ في صحة دعوتهما ، وجعل ما أظهره موسى من المعجزة بين يدي فرعون سحرا لأنّهم يطلقون السحر عندهم على خوارق العادات.[1]

والخطاب في قوله **{{أن يخرجاكم}}** لملئهم ، ووجه اتهامهما بذلك هو ما تقدّم عند قوله تعالى **{{قال أجئتنا لتُخرجنّا من أرضنا بسحرك يا موسى}}** ، ونزيد هنا أن يكون هذا من النجوى بين السحرة، أي يريدان الاستئثار بصناعة السحر في أرضكم فتخرجوا من الأرض بإهمال النّاس لكم و إقبالهم على سحر موسى وهارون.[2]

و أرادو من هذا إثارة حمية بعضهم غيرة على عوائدهم ،فإن لكلّ أمة غيرة على عوائدها وشرائعا و أخلاقها ، ولذا فرّعوا على ذلك أمرهم بأن يجمعوا حيلهم وكل ما في وسعهم أن يغلبوا به موسى ، وسموا عملهم كيدًا لأنّهم تواطئوا على أن يظهروا للعامّة أن ما جاء به موسى ليس بعجيب ، فهم يأتون بمثله أو أشدّ منه ليصرفوا النّاس عن سماع دعوته فيكيدوا له بإبطال خصّيصية ما أتى به والظاهر أنّ عامة النّاس تسامعوا بدعوة موسى ، وما أظهره الله على يديه من المعجزة و أصبحوا متحيّرين في شأنه ، فمن أجل ذلك اهتمّ السحرة بالكيد له .[3]

1 المرجع السابق ، ص 250 –254 .

2 المرجع السابق ، ص 255 .

3 المرجع السابق ، ص 255 – 256.

وجملة **{{ وقد أفلح اليوم من استعلى}}** تذييل للكلام يجمع ما قصدوه من تآمرهم بأن الفلاح يكون لمن غلب وظهر في ذلك الجمع ف {{استعلى}} مبالغة في عّلا ، أي علا صاحبه وقهره ، فالسين والتاء للتأكيد مثل استأخر.[1]

﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى (67) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)** ﴾

والمفاجأة المستفادة من (إذا) دلّت على أنهم أعدّوها للإلقاء وكانو يخشون أن يمرّ زمان تزول به خاصيتها فلذلك أسرعوا بإلقائها ، وهذا التخييل الذي وجده موسى من سحر السحرة هو أثر عقاقير يُشربونها تلك الحبال والعصيّ، وتكون الحبال من صنف خاص ، والعصي من إعواد خاصة فيها فاعلية لتلك العقاقير ، فإذا لاقت شعاع الشمس اضطربت تلك العقاقير فتحركت الحبال والعصيّ.[2]

أوجس : أضمر واستشعر ، وانتصاب **{{خيفةً}}** على المفعولية ،أي وجد في نفسه ، و **{{خيفة}}** اسم هيئة من الخوف ، أريد به مطلق المصدر ، و أصله خوفة ، فقلبت الواو ياء

1 المرجع السابق ، ص 258 .

2 المرجع السابق ، ص 258 .

لوقوعها أثر كسرة، وزيادة **{{في نفسه}}** هنا للإشارة إلى أنّها خيفة تفكر لم يظهر أثرها على ملامحه ، و إنما خاف موسى من أن يظهر أمر السحرة فيساوي ما يظهر على يديه من انقلاب عصاه ثعبانا، لأنّه يكون قد ساواهم في عملهم ويكونون قد فاقوه بالكثرة ، أو خشي أن يكون الله أراد استدراج السحرة مدّة فيملي لهم بظهور غلبهم عليه ومدّه لما تكون له العاقبة فخشي ذلك

وهذا مقام الخوف ، وهو مقام جليل مثله مقام النّبي _ صلى الله عليه وسلم – يوم بدر إذ قال : **{{اللّهم إنّي أسألك نصرك ووعدك اللّهم إن شئت لم تُعبد في الأرض }}**.[1]

والدليل على هذا قوله تعالى **{{قلنا لا تخَفْ إنّك أنت الأعلى}}**.فتأكيد الجملة بحرف التأكيد وتقوية تأكيدها بضمير الفصل وبالتعريف في **{{الأعلى}}** دليل على أن ما خامره من الخوف إنّما هو خوف ظهور السحرة عند العامة ولو في وقت مّا ، وعبّر عن العصا ب **(ما)** الموصولة تذكيرا له بيوم التكليم إذ قال له **{{ وما تلك بيمينك يا موسى}}** ليحصل له الاطمئنان بأنّها صائرة إلى الحالة التّي صارت إليها يومئذ ، ولذلك لم يقل له: و ألق عصاك.[2]

وتعميم **{{حيث أتى}}** لعموم الأمكنة التّي يحضرها ، أي بسحره ، وتعليق الحكم بوصف الساحر يقتضي أن نفي الفلاح عن الساحر في أمور السحر لا في تجارة أو غيرها ، وهذا تأكيد

1 المرجع السابق ، ص 259 .

2 المرجع السابق ، ص 259– 260 .

للعموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي ، لأنّ عموم الأشياء يستلزم عموم الأمكنة التّي تقع فيها.[1]

ومن أفعال الكلام التي وردت في هذه الأيات مايلي:

الطلبيات (الأمر): **{{أَلْقُواْ}}، {{أَلْقِ}}.**

الطلبيات (النهي): **{{لاَ تَخَفْ}}، {{لاَ يُفْلِحُ}}**

التعبيريات (الخوف): **{{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى}}.**

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى (71) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى (76)وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى

1 المرجع السابق ، ص 261 .

أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)

﴿.

: [71 70]

سياق الحوار بين فرعون والسحرة.

الفاء عاطفة على محذوف يدّل عليه قوله **{{و ألق ما في بيمينك}}** ، والتقدير : فألقى فتلقفت ما صنعوا ، والإلقاء : الطرح على الأرض ، و أسند الفعل إلى المجهول لأنّهم لا ملقي لهم إلاّ أنفسهم ، فكأنه قيل: فألقوا أنفسهم سُجدًا ، فإنّ سجودهم كان إعلانا باعترافهم أنّ موسى مرسل من الله ويجوز أن يكون سجودهم تعظيما للّه تعالى .[1]

وجملة {{قالوا}} يصح أن تكون في موضع الحال ، أي ألقَوْا قائلين ، ويصح أن تكون بدل اشتمال من جملة **{{فألقي السحرة سُجدًا}}** فإن سجودهم اشتمل على إيمانهم ، و أن تكون مستأنفة ابتدائية لافتتاح المحاورة بينهم وبين فرعون ، و إنّما آمنوا بالله حينئذ لأنّهم أيقنوا أن ما جرى على يد موسى ليس من جنس السحر لأنّهم أيّة السحر فعلموا أنّه آية من عند الله.[2]

1 المرجع السابق ، ص 261 .

2 المرجع السابق ، ص 262 .

ولمّا رأى فرعون إيمان السحرة تغيّظ ورام عقابهم و لكنّه علم أن العقاب علـــى الإيمـــان بموسى بعد أن فتح باب المناظرة معه نكث لأصول المناظرة فاختلق للتشفّي من الّذين آمنوا علّة إعلانهم الإيمان قبل استئذان فرعون ، فعّد ذلك جرأة عليه ، وأوهم أنّهم لو استأذنوه لأذن لهـــم ، واستخلص من تسرعهم بذلك أنّهم تواطؤوا مع موسى من قبل فأظهروا العجز عند مناظرتـــه ، ومقصد فرعون من هذا إقناع الحاضرين بأنّ موسى لم يأت بما يعجز السحرة إدخالا للشكّ على نفوس الّذين شاهدوا الآيات ، وهذه شنشنة من قديم الزمان اختلاق المغلوب بارذ العذر.[1]

وأيّنا: استفهام عن مشتركيْن في شدّة التعذيب ، وفعل **{{لتعلمُن}}** معلق عن العمل لوقوع الاستفهام في آخره ، و أراد بالمشتركين نفسه وربّ موسى سبحانه لأنّه علم من قـــولهم **{{آمنـــا بربّ هارون وموسى}}** أن الذي حملهم على الإيمان به ما قدم لهم موسى من الموعظـــة حـــين قال لهم بمسمع من فرعون **{{ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب}}** ، أي وســـتجدون عذابي أشد من العذاب الذي حُذرتموه وهذا من غروره ويدل على أن ذلك مراد فرعون ما قابل به المؤمنون قوله **{{أينّا أشدّ عذابا و أبقى}}** بقولهم **{{و الله خير و أبقى}}** أي خير منك و أبقى عملا من عملك ، فثوابه خير من رضاك وعذابه أشد من عذابك.[2]

1 المرجع السابق ، ص 263- 264.

2 المرجع السابق ، ص 265 .

[72 73] :

أظهروا استخفافهم بوعيده وبتعذيبه ، إذ أصبحوا أهل إيمان ويقين ، وكذلك شأن المؤمنين بالرسل إذا أشرقت عليهم أنوار الرسالة فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان و ثباته ، ولنا في عمر بن الخطّاب ونحوه ممن آمنوا بمحمّد _ صلّى الله عليه وسلّم – مَثَلُ صدق.[1]

وصيغة الأمر في قوله **{{فاقض ما أنت قاض}}** مستعملة في التنويه ، لأن **{{ما أنت قاض }}** ما صدقه ما توعدهم به من تقطيع الأيدي والأرجل والصّلب ، أي سواء علينا ذلك بعضه أو كله أو عدم وقوعه ، فلا نطلب منك خلاصا منه جزاء طاعتك فافعل ما أنت فاعل (والقضاء هنا التنفيذ والإنجاز) فإنّ عذابك لا يتجاوز هذه الحياة ونحن نرجو من ربنا الجزاء الخالد.[2]

[74 76]:

هذه الجمل معترضة بين حكاية قصة السحرة وبين ذكر قصة خروج بني إسرائيل ، ساقها الله موعظة وتأييدًا لمقالة المؤمنين من قوم فرعون ، وقيل : هي من كلام أولئك المؤمنين ، ويبعده أنّه لم يحك نظيره عنهم في نظائر هذه القصة، والإتيان باسم الإشارة في قوله **{{ فأولئك لهم الدرجات }}** للتنبيه على أنهم أحرباء بما يذكر بعد اسم الإشارة من أجل ما سبق اسم

1 المرجع السابق ، ص 266 .

2 المرجع السابق ، ص 267 .

الإشارة،وتقدم معنى **{{عَدْن}}** وتفسير **{{تجري من تحتها الأنهار }}** في قوله تعالى **{{وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن }}** في سورة براءة والتزكي : التطهير من المعاصي.[1]

[77 78 79]:

ومن خلال هذه الأيات نلاحظ سياق التلطف والترفق بالنبي الكريم وذلك من خلال تطمينه.

افتتاح الجملة بحرف التحقيق للاهتمام بالقصّة ليلقي السامعون إليها أذهانهم ، وتغيير الأسلوب في ابتداء هذه الجملة مؤذن بأن قصصاً طويت بين ذكر القصتين ، فلو اقتصر على حرف العطف لتوهّم أن حكاية القصة الأولى لم تزل متّصلة فتوهم أنّ الأمر بالخروج وقع مواليا لانتهاء محضر السحرة ، مع أن بين ذلك قصصاً كثيرة ذكرت في سورة الأعراف وغيرها ، فإن الخروج وقع بعد ظهور آيات كثيرة لإرهاب فرعون كلّما همّ بإطلاق بني إسرائيل للخروج ثمّ نكل إلى أن أذن لهم بأخرة ثم ندم على ذلك فأتبعهم.[2]

الفاء فصيحة عاطفة على مقدر يدلّ عليه الكلام السابق ، أي فسرى بهم فأتبعهم فرعون فإن فرعون بعد أن رأى آيات غضب الله عليه وعلى قومه و أيقن أنّ ذلك كله تأييد لموسى أذن لموسى وهارون أن يخرجا بني إسرائيل ، وكان إذْن فرعون قد حصل ليلا لحدوث موتان عظيم

1 المرجع السابق ، ص 268- 269 .

2 المرجع السابق ، ص 269 .

في القبط في ليلة الشهر السابع من أشهر القبط وهو شهر (برمهات) وهو الّذي اتّخذه اليهود رأس سنتهم بإذن من الله وسموه (تِّري) فخرجوا من مدينة (رعميس) قاصدين شاطئ البحر الأحمر ، وندم فرعون على إطلاقهم فأراد أن يلحقهم ليرجعهم إلى مدينته، وخرج في مركبته ومعه ستمائة مركبة مختارة ومركبات أخرى تحمل جيشه،وأتْبَع : مرادف تَبع ، والباء في **{بجنوده }}** للمصاحبة ،واليمّ: البحر ، وغشيانه إياهم : تغطيته جثثهم، أي فغرقوا.[1]

وقوله **{{ما غشيهم }}** يفيد ما أفاده قوله **{{ فغشيهم من اليَّم }}** إذ من المعلوم أنهم غشيهم غاش ، فتعيّن أن المقصود منه التهويل ، أي بلغ من هول ذلك الغرق أنّه لا يستطاع وصفه وجملة **{{ و أضلّ فرعون قومه }}** في موضع الحال من الضمير في **{{غشيهم}}**، والإضلال : الإيقاع في الضلال ، وهو خطأ الطريق الموصّل، ويستعمل بكثرة في معنى الجهالة وعَمَل ما فيه ضرّ وهو المرادهنا والمعنى : أن ّفرعون أوقع قومه في الجهالة وسوء العاقبة بما بثّ فيهم من قلب الحقائق والجهل المركب، فلم يصادفوا السداد في أعمالهم حتى كانت خاتمتها وقوعهم غرقى في البحر بعناده في تكذيب دعوة موسى –عليه السلام_ .[2]

1 المرجع السابق، ص 271 .

2 المرجع السابق ، ص 272 .

وَعَطْفُ **{{ وما هَدى }}** على **{{أضل}}**: إما من عطف الأعمّ على الأخص لأنّعدم الهدى يصدق بترك الإرشاد من دون إضلال ، و إما أن يكون تأكيدا لفضيا بالمرادف مؤكدا لنفي الهدى عن فرعون لقومه فيكون قوله **{{وما هدى}}** تأكيدا ل **{{أضل}}** بالمرادف **كقوله تعالى : {{أموات غير أحياء }}** وقول الأعشى : **{{حفاة لا نعال لنا}}**.[1]

إضافة لما ذكرناه نلاحظ أيضا أفعال الكلام في الأيات السابقة والمتمثلة في :

الإلتزاميات (الترهيب): ﴿**قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى** ﴾.

الطلبيات (الإستفهام): ﴿**أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى** ﴾.

الطلبيات (الأمر): ﴿**فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ**﴾. ﴿ **أسْرِ**﴾ ﴿ **فَاضْرِبْ**﴾.

الالتزاميات (الترغيب): ﴿**إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى (76)**﴾.

الطلبيات (النهي): ﴿ **لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى**﴾.

1 المرجع السابق ، ص 272 .

هنا ينتهي سياق الأحداث بين إيمان السحرة وغرق فرعون لينتقل إلى سياق تذكير بني إسرائيل بنعم الله.

﴿ يَبَنِي إِسْرَآءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَ وَعَدْنَكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِٱلأيْمَنَ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وٱلسَّلْوَى (80)كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى (82) ﴾

هذه الجمل معترضة في أثناء القصة مثل ما تقدم آنفا في قوله تعالى {{ إنه من يأت ربَّه مجرما}} وهذا خطاب لليهود الّذين في زمن النّبي _ صلى الله عليه وسلم _ تذكيرا لهم بنعم أخرى، وقدمت عليها النعمة العظيمة ، وهي خلاصهم من استعباد الكفرة .[1]

ثم بعد ذلك ينتقل السياق إلى عبادة بني إسرائيل العجل وعقاب موسى عليه السلام للسمارئ.

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَمُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُوْلآءِ عَلَى أَثَرِي وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي(86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن

1 المرجع السابق ، ص 273 .

زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ(87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً (97) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً (98) ﴾

[83 86]:

عطف على جملة **{{اسْرِ بعبادي }}** الواقعة تفسيرا لفعل **{{ أوحينا إلى موسى }}** ، فقوله **{{وما أعجلك عن قومك}}** هو مما أوحى الله به إلى موسى ، والتقدير : و أنْ : ما أعجلك الخ ، وهو إشارة إلى ما موقع لهم أيام مناجاة موسى في الطور في الشهر الثالث لخروجهم من مصر.[1]

1 المرجع السابق ، ص277 .

والاستفهام مستعمل في اللّوم ، والذي يؤخذ من كلام المفسرين و تشير إليه الآية : أنّ موسى تعجّل مفارقة قومه ليحضر إلى المنجاة قبل الإبّان الّذي عيّنه الله له،اجتهادا منه ورغبة في تلقي الشريعة حسبما وعده الله قبل أن يحيط بنو إسرائيل بجبل الطور ، ولم يراع في ذلك إلا السبق إلى ما فيه خير لنفسه ولقومه ، فلامه الله على أن غفل عن مراعاة ما يحفّ بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالمحافظة على العهد و يحذّرهم مكر من يتوسّم فيه مكرا ، فكان في ذلك بمنزلة أبي بكر حين دخل المسجد فوجد النّبي – صلى الله عليه وسلم– راكعا فركع و دَبّ إلى الصف فقال له النّبي – صلى الله عليه وسلم – {{ زادك الله حرصا و لا تَعُدْ}.[1]

و اعتذر عن تعجّله بأنه عجّل إلى استجابة أمر الله مبالغة في إرضائه ، فقوله تعالى **{{ فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك }}** فيه ضرب من الملام على التعجل بأنّه تسبب عليه حدوث فتنة في قومه ليعلمه أن لا يتجاوز ما وقت له ولو كان لرغبة في ازدياد من الخير ، واستعمل تركيب **{{ هم أولاء }}** مجرّدا عن حرف التنبيه في أول اسم الإشارة وتجريد اسم الإشارة من هاء التنبيه استعمال جائز و أقل منه استعماله بحرف التنبيه مع الضمير دون اسم الإشارة .[2]

و إسناد الفتن إلى الله باعتبار أنه مُقدرّه وخالقُ أسبابه البعيدة ، و أمّا إسناده الحقيقي فهو الّذي في قوله **{{ وأضلّهم السامريّ }}** لأنّه السبب المباشر لضلالهم المسبب لفتنتهم ، ويحتمل أن يكون السامريّ نسبا إلى قرية اسمها السامرة من قرى مصر ، كما قال بعض أهل التفسير ، فيكون قبطيا اندس في بني إسرائيل لتعلّقه بهم في مصر أو لصناعة يصنعها لهم ، وعن سعيد

1 المرجع السابق ، ص 277 .

2 المرجع السابق ، ص 278 – 279 .

بن جبير : كان السامريّ من أهل (كرمان) ، وهذا يقرّب أن يكون السامريّ تعريب كرماني بتبديل بعض الحروف وذلك كثير في التعريب.[1]

ويجوز أن تكون الياء من السامريّ غير ياء نسب بل حرفا من اسم مثل : ياء عليّ وكرسيّ فيكون اسما أصليا أو منقولا في العبرانية، وتكون اللاّم في أوله زائدة .[2]

[85 86]:

الغضب : انفعال للنفس وهيجان ينشأ عن إدراك ما يسوءها و يسخطها دون خوف ، والوصف منه غضبان ، والأسف : انفعال للنفس ينشأ من إدراك ما يحزنها و ما تكرهه مع انكسار الخاطر ، والوصف منه أسف ، وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى لأنه يسوءه وقوع ذلك في أمته وهو لا يخافهم ، فانفعاله المتعلّق بحالهم غضب ، وهو أيضا يحزنه وقوع ذلك وهو مناجاة الله تعالى التي كان يأمل أن تكون سبب رضى الله عن قومه فإذا بهم أتوا بما لا يرضي الله فقد انكسر خاطره بين يدي ربّه .[3]

وهذا ابتداء وصف قيام موسى في جماعة قومه وفيهم هارون وفيهم السامريّ ، وهو يقرع أسماعهم بزواجر وعظه ، فابتدأ بخطاب قومه كلهم، وقد علم أن هارون لا يكون مشايعا

1 المرجع السابق ، ص 279 – 280 .
2 المرجع السابق ، ص 280 .
3 المرجع السابق ، ص 281– 282 .

لهم ، فلذلك ابتدأ بخطاب قومه ثم وجه الخطاب إلى هارون بقوله ، قال **{{ يا هارون ما منعك }}**، وجملة **{{ قال يا قوم }}** مستأنفة بيانية .[1]

و افتتاح الخطاب ب **{{يا قوم }}** تمهيدٌ للوم لأن انجرار الأذى للرجل من قومه أحق في توجيه الملام عليهم ، وذلك قوله **{{ فأخلفتم موعدي }}** ، والاستفهام في **{{ ألم يعدْكم ربّكم }}** إنكاري ، نزّلوا منزلة من زعم أنّ الله لم يعدهم وعدا حسنا لأنّهم أ جروا أعمالهم على حال من يزعم ذلك فأنكر عليهم زعمهم ، ويجوز أن يكون تقريريا ، و شأنه أن يكون على فرض النّفي كما تقدّم غير مرّة.[2]

والوعد الحسن هو : وعده موسى بإنزال التّوراة ، ومواعدته ثلاثين ليلة للمناجاة ، وقد أعلمهم بذلك ، فهو وعد لقومه لأنّ ذلك لصلاحهم ، و لأنّ الله وعدهم بأن يكون ناصرا لهم على وهاديا لهم في طريقهم، وهو المحكي في قوله **{{ وواعدناكم جانب الطور الأيمن}}**، والاستفهام في **{{ أفطال عليكم العهد}}** مفرّع على قوله **{{ألم يعدكم ربّكم}}** ، هو استفهام إنكاري ، أي ليس العهد بوعد الله إياكم بعيدا ، والمراد بطول العهد طول المدة ، أي بعدها ، أي لم يبعد زمن وعد ربكم إياكم حتى يكون لكم يأس من الوفاء فتكفروا وتكذبوا من بلغكم الوعد وتعبدوا ربا غير

1 المرجع السابق ، ص 282 .

2 المرجع السابق ، ص 282 .

الذي دعاكم إليه من بلغكم الوعد فتكون لكم شبهة عذر في الإعراض عن عبادة الله ونسيان عهده والعهد : معرفة الشيء وتذكره .[1]

ففي قوله **{{ أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربّكم}}** استعارة تمثيلية ، إذ شبه حالهم في ارتكابهم أسباب حلول غضب الله عليهم بدون داع إلى ذلك بحال من يحب حلول غضب الله عليه ، إذ الحب لا سبب له ، وقوله **{{فأخلفتهم موعدي }}** تفريع على الاستفهام الإنكاري الثاني ومعنى **{{موعدي}}** هو وعد الله على لسانه ، فإضافته إلى ضميره لأنّه الواسطة فيه.[2]

﴿ **قَالُواْ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَ لَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَهَا**﴾

وقعت جملة **{{قالوا}}** غير معطوفة لأنها جرت في المحاورة جوابا عن كلام موسى _عليه السلام_ وضمير **{{قالوا}}** عائد إلى **{{القوم}}** و إنما القائل بعضهم ، تصدّوا مجيبين عن القوم كلّهم وهو كبراء القوم و أهل الصلاح منهم .[3]

و الأوزار : الأثقال ، والزينة : الحلي والمصوغ ، وقد كان بنو إسرائيل حين أزعموا الخروج قد احتالوا على القبط فاستعار كل واحد من جاره القبطي حليا فضة وذهبا و أثاثا ، كما في الإصحاح 12 من سفر الخروج ، والمعنى : أنهم خشوا تلاشي تلك الزينة فارتأوا أن

1 المرجع السابق ، ص 282 – 283 .
2 المرجع السابق ، ص 283 .
3 المرجع السابق ، ص 283 – 284 .

يصوغها قطعة واحدة أو قطعتين ليتأتى لهم حفظها في موضع مأمون، والقذف : الإلقاء و أريد به هنا الإلقاء في نار السامريّ للصوغ .[1]

[87 88]:

ظاهر حال الفاء التفريعية أن يكون ما بعدها صادرا من قائل الكلام المفرّع عليه ، والمعنى: فمثلّ قذفنا زينة القوم ، أي في النار ، ألقي السامريّ شيئا من زينة القوم فأخرج لهم عجلا ، والمقصود من هذا التشبيه التخلّص إلى قصة صوغ العجل الذي عبدوه ، ومثل ذلك القذف الذي قذفنا ما بأيدينا من زينة القوم ألقى السامريّ ما بيده من النّار ليذوب ويصوغها فأخرج لهم من ذلك عجلا جسدا ، فإن فعل (ألقى) يحكي حالة مشبهة بحالة قذفهم مصوغ القبط ، والقذف والإلقاء مترادفان ، شبه أحدهما بالآخر.[2]

والجسد هو الجسم ذو الأعضاء سواء كان حيا أم لا ، و الإخراج هو إظهار ما كان محجوبا والتعبير بالإخراج إشارة إلى أنّه صنعه بحيلة مستورة حتى أتمّه ، والخوار : صوت البقر وكان الذي صنع لهم العجل عارفا بصناعة الحيل التي كانوا يصنعون بها الأصنام ويجعلون في أجوافها و أعناقها منافذ كالزمارات تخرج منها أصوات إذا أطلقت عندها رياح بالكير ونحوه .[3]

1 المرجع السابق ، ص 285 .
2 المرجع السابق ، ص 285 – 286 .
3 المرجع السابق ، ص 286 .

والنسيان مستعمل في الإضاعة ، كقوله تعالى **{{قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتَها }}** وقوله **{{الّذين هم عن صلاتهم سَاهون }}** ، وعلى هذا يكون قوله **{{فنسي}}** من الحكاية لا من المحكي ، والضمير عائد إلى السامريّ فينبغي على هذا أن يتصل بقوله **{{ أفلا يرون }}** ويكون اعتراضا ،والنسيان يكون مستعملا مجازا في الغفلة.[1]

[89]:

الإستفهام : إنكاري ، نزّلو منزلة من لا يرى العجل لعدم جَرْيهم على موجّب البصر ، فأنكر عليهم عدم رؤيتهم ذلك مع ظهوره ، أي كيف يدّعون الإلهية للعجل وهم يرون أنه لا يتكلّم ولا يستطيع نفعا ولا ضرا، والرؤية هنا بصرية مكنى بها أو مستعملة في الإدراك فآلت إلى معنى الاعتقاد والعلم ، ولا سيما بالنسبة لجملة **{{ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا}}** فإن ذلك لا يرى بالبصر بخلاف **{{لا يرجع إليهم قولا}}** ، ورؤية انتفاء الأمرين مراد بها رؤية أثر انتفائهما بدوام عدم التكلّم وانتفاء عدم نفعهم وضرهم ، لأنّ الإنكار مسلّط على اعتقادهم أنه إلههم فيقتضي أن يملك لهم ضرًا ونفعا.[2]

{{ ومعنى يرجع}} يَرُدّ ، أي يجيب القول ، لأن ذلك محل العبرة من فقدانه صفات العاقل لأنهم يدعونه ويُثنون عليه ويمجدونه وهو ساكت لا يشكر لهم ولا يعدهم باستجابة ، و

1 المرجع السابق ، ص 287 .

2 المرجع السابق ، ص 288 .

شأن الكامل إذا سمع ثناء أو تلقى طِلبة أن يجيب ، ولا شك أن في ذلك الجمع العظيم من هو بحاجة إلى جلب نفع أو دفع ضرّ ، و أنهم يسألونه ذلك فلم يجدوا ما فيه نفعهم أو دفع ضر عنهم مثل ضر عدوّ أو مرض ، فهم قد شاهدوا عدم غنائه عنهم ، و لأن شواهد حاله من عدم التحرك شاهدة بأنه عاجز عن أن ينفع أو يضر ، فلذلك سلط الإنكار على عدم الؤية لأنّ حاله مما يُرى.[1]

: [91 90]

الجملة في موضع الحال من ضمير **{{أفلا يرون}}** على كلا الاحتمالين ، أي كيف لا يستدلّون على عدم استحقاق العجل الإلهية ، بأنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فيقلعون عن عبادة العجل ، وتلك دلالة عقلية ، في حال أنّ هارون قد وعظهم ونبههم إلى ذلك إذ ذكّرهم بأنه فتنة فتنهم بها السامريّ ، و أن ربّهم هو الرحمان لا ما لا يملك لهم نفعا فضلا عن الرحمة ، و أمرهم بأن يتبعوا أمره ، وتلك دلالة سمعية، و تأكيد الخبر بحرف التحقيق ولام القسم لتحقيق إبطال ما في كتاب اليهود من أن هارون هو الذي صنع لهم العجل ، و أنه لم ينكر عليهم عبادته ، وغاية الأمر أنّه كان يستهزئ بهم في نفسه ، وذلك إفك عظيم في كتابهم.[2]

1 المرجع السابق ، ص 288 – 289 .

2 المرجع السابق ، ص 289 – 290 .

والمضاف إليه (قبلُ) محذوف دل عليه المقام ، أي من قبل أن يرجع إليهم موسى وينكر عليهم ، وافتتاح خطابه ب **{{يا قوم}}** تمهيد لمقام النصيحة ، ومعنى **{{إنما فتنتم به}}** : ماهو إلاّ فتنة لكم ، وليس ربا ، و إن ربّكم الرحمان الذي يرحمكم في سائر الأحوال ، فأجابوه بأنّهم لا يزالون عاكفين على عبادته حتى يرجع موسى فيصرّح لهم بأن ذلك العجل ليس هو ربّهم.[1]

ورتب هارون خطابه على حسب الترتيب الطبيعي لأنه ابتدأه بزجرهم عن الباطل وعن عبادة ما ليس برب ، ثم دعاهم إلى معرفة الرب الحق ،ثم دعاهم إلى اتباع الرسول إذ كان رسولا بينهم ، ثمّ دعاهم إلى العمل بالشرائع ، فما كان منهم إلاّ التصميم على استمرار عبادتهم العجل فأجابوا هارون جوابا جازما، و **{{عليه}}** متعلق ب **{{عاكفين}}** قدم على متعلّقة لتقوية الحكم، أو أرادوا : لن نبرح نخصه بالعكوف لا نعكف على غيره، والعكوف: الملازمة بقصد القربة والتعبد ، وكان عبّدة الأصنام يلزمونها ويطوفون بها .[2]

[92 94]:

انتقل موسى من محاورة قومه إلى محاورة أخيه ، فجملة **{{قال يا هارون}}** تابعة لجملة **{{قال يا قوم ألم يَعِدكم ربّكم وعدًا حسنا}}**، ولجملة **{{قالوا ما أخلَفْنا موعدك بمَلْكنا }}**

1 المرجع السابق، ص 290 .

2 المرجع السابق ، ص 290 .

وقد وجدت مناسبة لحكاية خطابه هارون بعد أن وقع الفصل بين أجزاء الحكاية بالجمل المعترضة التي منها جملة **{{ ولقد قال لهم هارون من قبل }}** الخ ...، فهو استطراد في خلال الحكاية للإشعار بعذر هارون كما تقدم ، ويحتمل أن تكون عطفا على جملة **{{ولقد قال لهم هارون}}** الخ ...، على احتمال كون تلك من حكاية كلام قوم موسى.[1]

علم موسى أن هارون مخصوص من قومه بأنّه لم يعبد العجل ،إذ لا يجوز عليه ذلك لأنّ الرسالة تقتضي العصمة ، فلذلك خصه بخطاب يناسب حاله بعد أن خاطب عموم الأمة بالخطاب الماضي ، وهذا خطاب التوبيخ والتهديد على بقائه بين عبدة الصنم، والاستفهام في قوله **{{ما منعك}}** إنكاري ، أي لا مانع لك من اللحاق بي ،لأنه أقامه خليفة عنه فيهم فلما لم يمتثلوا أمره كان عليه أن يرد الخلافة إلى من استخلفه.[2]

والتقدير: ما منَعك أن تتبعني واضطرك إلى أنْ لا تتبعني ، فيكون في الكلام شبه احتباك ، والمقصود تأكيدُ وتشديدُ التوبيخ بإنكار أن يكون لهارون مانع حينئذ من الحاق بموسى ومقتض لعدم اللحاق بموسى ، كما يقال : وُجد السبب وانتفى المانع.[3]

1 المرجع السابق ، ص291 .

2 المرجع السابق ، ص 291 .

3 المرجع السابق ، ص 292 .

والاستفهام في قوله **{{أفَعَصَيْتَ أمري }}** مفرع على الإنكار ، فهو إنكار ثان على مخالفة أمره ،مثوب بتقرير للتهديد ، وقوله في الجواب **{{يا ابن أمَّ}}** نداء لقصد الترقيق والاستشفاع ، وهو مؤذن بأن نداء لقصد الترقيق والاستشفاع ، وهو مؤذن بأن موسى حين وبخه أخذ بشعر لحية هارون ، ويشعر بأنّه يجذبه إليه ليلطمه ، وقد صرح به في الأعراف بقوله تعالى **{{و أخذ برأس أخيه يجره إليه }}** ، وعطفغ الرأس على اللحية لأنّ أخذه من لحيته أشد ألما و أنكى في الإذلال ،و ابنُ الأم : الأخ ، وعدل عن (يا أخي) إلى (ابن أم) لأن ذكر الأم تذكير بأقوى أواصر الأخوة ، وهي آصرة الولادة من بطن واحد والرضاع من لسان واحد .[1]

و اعتذر هارون عن بقائه بين القوم بقوله **{{إني خشيت أن تقول فرقتَ}}** ، أي أن تظن ذلك بي فتقوله لوْماً وتحميلا لتبعة الفرقة التي ظن أنها واقعة لا محالة إذا أظهر هارون غضبه عليهم لأنه يستتبعه طائفة من الثابتين على الإيمان ويخالفهم الجمهور فيقع انشقاق بين القوم وربما اقتتلوا فرأى من المصلحة أن يظهر الرضى عن فعلهم ليهدأ الجمهور ويصبر المؤمنون اقتداء بهارون ، ورأى في سلوك هذه السياسة تحقيقا لقول موسى له **{{و أصلح ولا تتبع سبل المفسدين}} في سورة الأعراف** ، وهو الذي أشار إليه هنا بقوله **{{ولم ترقب قولي }}** ، فهو من جملة حكاية قول موسى الذي قدره هارون في ظنه.[2]

وهذا اجتهاد منه في سياسة الأمة إذ تعارضت عنده مصلحتان مصلحة حفظ العقيدة

1 المرجع السابق ، ص 292 .

2 المرجع السابق ، ص 293 .

ومصلحة حفظ الجامعة من الهرج ، وفي أثنائها حفظ الأنفس والأموال والأخوة بين الأمة فرجّح الثانية ، و إنما رجحها لأنّه رآها أدوم فإن مصلحة حفظ العقيدة يُستدرك فواتها الوقتيّ برجوع موسى ، بخلاف مصلحة حفظ الأنفس والأموال واجتماع الكلمة إذا انثلمت عسر تداركها.[1]

[95 96]:

التفت موسى بتوجيه الخطاب إلى السامريّ الذي كان سببا في إضلال القوم ، فالجملة ناشئة عن قول القوم **{{فكذلك ألقى السامريّ فأخرج لهم عجلا }}** الخ فهي ابتداء خطاب ، ولعل موسى لم يغلظ له القول كما أغلظ لهارون لأنه كان جاهلا بالدّين فلم يكن في ضلاله عجب ، ولعل هذا يؤيد ما قيل : إن السامريّ لم يكن من بني إسرائيل ولكنه كان من القبط أو من كرمان فاندسّ في بني إسرائيل ، ولما كان موسى مبعوثا لبني إسرائيل خاصة ولفرعون وملئه لأجل إطلاق بني إسرائيل ، كان اتّباع غير الإسرائيليين لشريعة موسى أمرا غير واجب على غير الإسرائليين ولكنه مرغّب فيه لما فيه من الاهتداء ، فلذلك لم يعنفه موسى لأن الأجدر بالتعنيف هم القوم الذين عاهدوا الله على الشريعة.[2]

ومعنى **{{ما خطبك}}** ما طلبك ، أي ماذا تخطب ، أي تطلب ، فهو مصدر ، وقال ابن عطية: {{ وهي كلمة أكثر ما تستعمل في المّكاره ، لأن الخطب هو الشأن المكروه ، كقوله

1 المرجع السابق ، ص 293 .

2 المرجع السابق ، ص 294 .

تعالى **{{ فما خطبكم أيها المرسلون }}** فالمعنى : ماهي مصيبتك التي أصبت بها القوم وما غرضك مما فعلت .[1]

وقوله **{{ بصرت بما لم يبصروا به }}** إلى قوله **{{فنبذتها }}** إن حُملت كلمات (بَصُرت بما لم يبصروا به ، وقبضت قبضة ، و أثر ، ونبذتها) على حقائق مدلولاتها كما ذهب إليه جمهورالمفسرين كان المعنى أبصرت ما لم يبصروه ، أي نظرت ما لم ينظروه ، بناء على أن بَصُرت، و أبصرت كلاهما من أفعال النظر بالعين، ولما كان المعنى هنا جليا عن أمر مرئي تعين حمل اللفظ على المجاز باستعارة بصُر الدال على قوة الإبصار إلى معنى العلم القويّ بعلاقة الإطلاق عن التقييد، والقبضة بفتح القاف الواحدة : من القبض ، وهو غلق الراحة على شيء ، فالقبضة مصدر بمعنى المفعول ، والنبذ إلقاء ما في اليد ، والأثر ، حقيقته مايتركه الماشي من صورة قدميه في الرمل أو التراب ، والتسويل : تزيين ما ليس بزين .[2]

:[96 97]

لم يرد موسى في عقاب السامريّ على أن خلعه من الأمّة ، إما لأنّه لم يكن من أنفسهم فلم يكن بالذي تجري عليه أحكام الشريعة ، و إما لأنّ موسى أعلم بأن السامري لا يرجى

1 المرجع السابق ، ص 293 – 294 .

2 المرجع السابق ، ص 295 – 296– 297 .

صلاحه ، فيكون ممن حقّت عليه كلمة العذاب، فقوله **{{فاذهب}}**الأظهر أنه أمر له بالانصراف والخروج من وسط الأمة ويجوز أن يكون كلمة زجر.[1]

أما قوله **{{فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس و إن لك موعدا لن تُخلفّه }}** فهو إخبار بما عاقبه الله به في الدنيا والآخرة ، فجعل حّظه في حياته أن يقول لا مساس ، أي سلبه الله الأنس الذي في طبع الإنسان فعوضه به هوسا ووسواسا وتوحشا، فأصبح متباعدا عن مخالطة الناس، عائشا وحده لا يترك أحدا يقترب منه ، فإذا لقيه إنسان قال له : لا مساس، يخشى أن يمسه ، أي لا تمسني ولا أمسك ، أو أراد لا اقتراب مني ، فإن المس يطلق على الاقتراب كقوله **{{ولا تمسوها بسوء}}** ، وهذا أنسب بصيغة المفاعلة ، أي مقاربة بيننا ، فكان يقول ذلك، وهذه حالة فظيعة أصبح بها سخرية.[2]

وقوله **{{و إنّ لك موعدا}}** اللام في **{{ لك }}** استعارة تهكمية ، كقوله تعالى **{{ و إن أسأتم فلها }}** أي فعليها ، وتوعده بعذاب الآخرة فجعله موعدا له ' أي موعد الحشر والعذاب ، فالموعد مصدر ،أي وعد لا يخلف **{{ وعد الله لا يخلف الله وعده }}** ، وهنا توعد بعذاب الآخرة.[3]

وبعد ان أوعد موسى السامريّ بيّن له وللّذين اتبعوه صلالهم بعبادتهم العجل بأنّه لا

1 المرجع السابق ، ص 297 .

2 المرجع السابق ، ص 298 .

3 المرجع السابق ، ص 298 .

يستحق الإلهية لأنّه معرّض للامتهان والعجز ، فقال **{{و انظُر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفا لنُحرقنه ثم لننسفنه في اليّم نَسْفا}}** ، فجعل الاستدلال بالنظر إشارة إلى أنه دليل يبين لا يحتاج المستدل به إلى أكثر من المشاهدة فإن دلالة المحسوسات أوضح من دلالة المعقولات، و أضاف الإله إلى ضمير السامريّ تهكما بالسامريّ وتحقيرا له ، و وصف ذلك الإله المزعوم بطريق الموصولية لما تدلّ عليه الصلة من التنبه على الضلال والخطأ ، أي الذي لا يستحق أن يعكف عليه.[1]

والعكوف : ملازمة العبادة وتقدم آنفا ، وتقديم المجرور في قوله **{{عليه عاكفا}}** للتخصيص ، أي الذي اخترته للعبادة دون غيره ، أي دون الله تعالى، وقرأ الجمهور **{{ لنُحرِّقنَّه }}** بضم النوّن الأولى و فتح الحاء وكسر الراء مشددة والتحريق : الإحراق الشديد ، أي لنحرقنه إحراقا لا يدع له شكلا ، و أراد به أن يذيبه بالنّار حتى يفسد شكله و يصير قطعا ، والنسف : تفريق و إذراء لأجزاء شيء صلب كالبناء والتراب و أراد باليّم البحر الأحمر ، و أكد **{{ ننسِفَنّه }}** بالمفعول المطلق إشارة إلى أنه لا يتردد في ذلك ولا يخشى غضبه كما يزعمون أنّه إله .[2]

[98]:

1 المرجع السابق ، ص 299 .

2 المرجع السابق ، ص 299 – 300 .

هذه الجملة من حكاية موسى – عليه السلام – فموقعها موقع التذييل لوعظة ، وقد التفت من خطاب السامريّ إلى خطاب الأمة إعراضا عن خطابه تحقيرا له ، وقصدا لتنبيههم على خطتهم ، وتعليمهم صفات الإله الخق ، واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم لأن الوحدانية تجمع جميع الصفات ، كما قرر في دلالة كلمة التوحيد عليها في كتب علم الكلام ، وأما عموم العلم فهو إشارة إلى علم الله تعالى بجميع الكائنات الشاملة لأعمالهم ليرقبوه في خاصتهم.[1]

واستعير فعل **{{ وسع }}** لمعنى الإحاطة التامة ، لأن الإناء الواسع يحيط بأكثر أشياء مما هو دونه ، و انتصب **{{ علما }}** على أنه تمييز نسبة السعة إلى الله تعال ، فيؤول المعنى : وسع علمه كل شيء بحيث لا يضيق علمه عن شيء ، أي لا يقصر عن الإطلاع على أخفى الأشياء ، كما أفاده لفظ **(كل)** المفيد للعموم .[2]

ولتنويه كل ماذكرناه سابقا في هذه الأيات من استفهام و وعد و أمر و تعبريات (الغضب ، الأسف ، الحزن ...) هو عبارة عن أفعال كلامية.

1 المرجع السابق ، ص 300 – 301 .

2 المرجع السابق ، ص 301 .

وهنا نسدل الستار على سياق قصة موسى –عليه السلام – مع فرعون وقومه ، والتي كان القصد من قصصها العبرة للمكذبين والمعاندين الذين كذبوا النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وعاندوه.[1]

لننتقل إلى سياق أخر والذي تمثل في مشاهد يوم القيامة وقصة أدم عليه السلام مواساة لرسول –عليه الصلاة والسلام – وذلك من خلال الأيات التالية :

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً (101)يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً (102)يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً (104) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً (105) فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً (108) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً (111) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً (112) وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً (113) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ

1 ينظر المرجع السابق ، ص 318 .

بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً (114) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)﴾ .

: [99 114]

وفي هذه الأيات نتطرق إلى سياق مشاهد يوم القيامة وطبيعة هذا القرآن .

حيث يعقب السياق من خلال هذه الأيات على القصة بالعودة إلى القرآن ووظيفته وعاقبة من يعرض عنه ، ويرسم هذه العاقبة في مشهد من مشاهد القيامة ، تتضاءل فيه أيام الحياة الدنيا ، وتتكشف الأرض من جبالها وتعرى ، وتخشع الأصوات للرحمن ، وتعنو الوجوه

للحي القيوم ، لعل هذا المشهد وما في القرآن من وعيد يثير مشاعر التقوى في النفوس ، ويذكرها بالله ويصلها به ... وينتهي هذا المقطع بإراحة بال الرسول صلى الله عليه وسلم من القلق من ناحية القرآن الذي ينزل عليه ، فلا يعجل في ترديده خوفا أن ينساه ، ولا يشقى بذلك فالله ميسره وحافظه ، إنما يطلب من ربه أن يزيده علما.[1]

كما تظهر الأفعال الكلامية في هذه الأيات من خلال الطلبيات (الأمر والنهي). والإشاريات في (كذلك).

ثم بعد ذلك ننتقل إلى سياق قصة أدم عليه السلام ، حيث عرض السياق قصة أدم عليه السلام ونسيانه لعهد الله ، بسبب ما ذكرناه أنفا والمتمثل في خوف الرسول صلى الله عليه وسلم من نسيانه للقرأن ولتعمق أكثر نقوم بتفسير وتحليل الأيات من **[114 إلى 127]:**

[114 116]:

لما كانت قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون ومع قومه ذات عبرة للمكذبين والمعاندين الذين كذبوا النّبي – صلى الله عليه وسلم – وعاندوه ، وذلك المقصود من قصصها كما أشرنا سابقا ، فكأن النبي – صلى الله عليه وسلم – استحب الزيادة من هذه القصص ذات العبرة رجاء أن قومه يفيقون من ضلالتهم كما أشرنا إليه قريبا عند قوله **{{ ولا**

1 سورة طه ، iefpedia .com ، بتاريخ 24 \11 \2020 ، سا : 21:00.

تعجل بالقرآن من قبل أن يقضّي إليك وحيه }} ، أعقبت تلك القصة بقصة آدم – عليه السلام – وما عرّض له به الشيطان ، تحقيقا لفائدة قوله **{{و قل ربّ زدني علما }}** ، فالجملة عطف قصة على قصة والمناسبة ما سمعت.[1]

والكلام معطوف على جملة **{{كذلك نقُصّ عليك من أنباء ما قد سبق }}**، و افتتاح الجملة بحرف التحقيق ولام القسم لمجرد الاهتمام بالقصة تنبيها على قصد التنظير بين القصتين في التفريط في العهد ، لأن في القصة الأولى تفريط بني إسرائيل في عهد الله ، كما قال فيها **{{ ألم يعدكم ربّكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد }}** ، وفي قصة آدم تفريطا في العهد أيضا ، وفي كون ذلك من عمل الشيطان كما قال في القصة الأولى **{{ وكذلك سوّلت لي نفسي }}** وقال في هذه **{{فوسوس إليه الشيطان }}** وفي أن في القصتين نسيانا لما يجب الحفاظ عليه و تذكرة فقال في القصة الأولى **{{ فنسي }}** وقال في هذه القصة **{{ فنسي ولم نجد له عزما }}**.[2]

والمراد بالعهد إلى آدم : العهد إليه في الجنّة التي أنسي فيها ، والنسيان : أطلق هنا على إهمال العمل بالعهد عمدا ، كقوله في قصة السامري **{{فنسي}}**، والعزم : الجزم بالفعل وعدم التردد فيه ، وهو مغالبة ما يدعو إليه الخاطر من الانكفاف عنه لعسر عمله أو إيثار ضده

1 الأستاذ الإمام محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ص 318 .

2 المرجع نفسه ، ص 318 .

عليه، و استعمل نفي وجدان العزم عند آدم في معنى عدم وجود العزم من صفته فيما عهد إليه تمثيلا لحال طلب حصوله عنده بحال الباحث على عزمه فلم يجده عنده بعد البحث.[1]

الأية [116]: هذا بيان لجملة **{{ولقد عهدنا إلى آدم من قبل }}** إلى آخرها ،فكان مقتضى الظاهر أن لا يكون معطوفا بالواو بل أن يكون مفصولا ، فوقوع هذه الجملة معطوفة اهتمام بها لتكون قصة مستقلة فتلفت إليها أذهان السامعين ، فتكون الواو عاطفة قصة آدم على قصة موسى عطفا على قوله **{{وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا}}**، ويكون التقدير : و اذكر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، وتكون جملة **{{ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل }}** تذييلا لقصة هارون مع السامريّ وقوله **{{من قبل }}** أي من قبل هارون ، والمعنى : أنّ هارون لم يكن له عزم في الحفاظ على ما عهد إليه موسى وانتهت القصة بذلك التذييل ، ثم عطف على قصة آدم تبعا لقوله **{{كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق }}.**[2]

وقوله **{{إن هذا }}** إشارة إلى الشيطان إشارة مرادا منها التحقير ، فابتدئ في ذكر متعلّق عدواته بآدم لأنّ آدم هو منشأ عداوة الشيطان لحسده ، ثمّ أتبع بذكر زوجه لأنّ عداوته إياها تبع لعداوته آدم زوجها ، وكانت عداوته متعلّقة بكليهما لاتحاد علّة العداوة ، وهي حسده إياهما على ما وهبهما الله من علم الأسماء الذي هو عنوان الفكر الموصل إلى الهدى وعنوان

1 المرجع السابق ، ص 319 .

2 المرجع السابق ، ص 320 .

التعبير عن الضمير الموصل للإرشاد وكل ذلك مما يبطل عمل الشيطان و يشق عليه في استهوائهما واستهواء ذريتهما ، و لأن الشيطان رأى نفسه أجدر بالتفضيل على آدم فحنق لما أمر بالسجود لآدم.[1]

[117 119]:

قوله **{{ فلا يُخرجنّكما من الجنّة}}** تفريع على الإخبار بعداوة إبليس له ولزوجه بأن نُهيا نهيّ تحذير عن أن يتسبب إبليس في خروجهما من الجنّة ، لأنّ العدوّ لا يروقه صلاح حال عدوه ، و وقع النهي في صورة نهي عن عمل هو من أعمال الشيطان لا من أعمال آدم عن التأثر بوسائل إخراجها من الجنّة.[2]

و جملة **{{إن لك أن لا تجوع فيها و لا تعرى }}** تعليل للشقاء المترتب على الخروج من الجنة المنهي عنه ، لأنّه لما كان ممتعا في الجنّة برفاهية العيش من مأكل و ملبس و مشرب و اعتدال جوّ مناسب للمزاج كان الخروج منها مقتضيا فقدان ذلك .[3]

و **{{ تضحى }}** : مضارع ضحّيّ : كرصي ، إذا أصابه حر الشمس في وقت الضحى ،و مصدره الضحو ، و حر الشمس في ذلك الوقت هو مبدأ شدته . و آدم لم يعرف

1 المرجع السابق ، ص 320 -321.

2 المرجع السابق ، ص 321 .

3 المرجع السابق ، ص 322 .

الجوع والعرّى و الظمأ و الضحو بالوجدان ، و إنما عرفها بحقائقها ضمن تعليمة الأسماء كلها كما تقدّم في سورة البقرة.[1]

[120 122] :

وتعدية فعل (وسوس) هنا بحرف (إلى) وباللام في سورة الأعراف **{{ فوسوس لهما الشيطان }}** باعتبار كيفية تعليق المجرور بذلك الفعل في قصد المتكلّم ، فإنه فعل قاصر لا غنى له عن التعدية بالحرف ، فتعديته بحرف (إلى) هنا باعتبار انتهاء الوسوسة إلى آدم وبلوغها إياه ، و تعديته باللاّم في الأعراف باعتبار أن الوسوسة كانت لأجلهما ، وجملة {{ قال يا آدم }} بيان {{ فوسوس لهما الشيطان }} وهذه الآية مثال للجملة المبينّة لغيرها في علم المعاني.[2]

وهذا القول خاطر ألقاه الشيطان في نفس آدم بطريق الوسوسة وهي الكلام الخفي

إما بألفاظ نطق بها الشيطان سرا لآدم لئلا يطّلع عليه الملائكة فيحذّروا آدم من كيد الشيطان ، فيكون إطلاق القول عليه حقيقة ، و إما بمجرد توجه أراده الشيطان كما يوسوس للنّاس في الدنيا فيكون إطلاق القول عليه مجازا باعتبار المشابهة ، و **{{ هل أدلك }}** استفهام مستعمل في

1 المرجع السابق ، ص 322 .

2 المرجع السابق ، ص 325 .

العّرض ، و هو أنسب المعاني المجازية للاستفهام لقربه من حقيقته والافتتاح بالنداء ليتوجه إليه.[1]

و الشجرة هي التي نهاه الله عن الأكل منها دون جميع شجر الجنّة ، والدلالة : الإرشاد إلى شيء مطلوب غير ظاهر لطالبه ، والدلالة على الشجرة لقصد الأكل من ثمرتها، وسماها هنا **{{شجرة الخُلد }}** بالإجمال للتشويق إلى تعيينها حتى يُقبِل عليها ، ثمّ عينّها له عقب ذلك بما أنبا به قوله تعالى **{{فأكلا منها }}** ، وقد أفصح هذا عن استقرار محبّة الحياة في جبلة البشر ، والمُلك : التحرر من حكم الغير ، وهو يوهم آدم أنه يصير هو المالك للجنّة المتصرف فيها غير مأمور لآمر ، و استعمل البِلى مجازا في الانتهاء ، لأن الثوب إذا بلي فقد انتهى لبسه.[2]

و اقتصار الشيطان على التسويل لآدم و هو يريد أن يأكل آدم و حواء ، لعلمه بأن اقتداء المرأة بزوجها مركوز في الجبلة ، وقوله **{{ و عصى آدم ربّه }}** عطف على **{{ فأكلا منها }}** ، أي أكلا معا ، و تعمد آدم مخالفة نهي الله تعالى إياه عن الأكل من تلك الشجرة

1 المرجع السابق ، ص 325 .

2 المرجع السابق ، ص 325 – 326 .

و إثبات العصيان لآدم دون زوجه يدل على أن آدم كان قدوة لزوجه فلما أكل من الشجرة تبعته زوجه .[1]

و الغواية : ضدّ الرشد فهي عمل فاسد أو اعتقاد باطل ، و إثبات العصيان لآدم دليل على أنّه لم يكن يومئذ نبيا ، و لأنه كان في عالم غير عالم التكليف و كانت الغاوية كذلك ، وليس في هذه الآية مستند لتجويز المعصية على الأنبياء و لا لمنعها ، لأنّ ذلك العالم لم يكن عالم تكليف ، و جملة **{{ ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه و هدّى }}** ، معترضة بين جملة **{{ و عصى آدم }}** و جملة **{{قال اهبطا منها جميعا }}** لأن الاجتباء و التوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم و زوجه بالخروج من الجنّة كما في سورة البقرة ، و هو المناسب لترتب الإخراج من الجنّة على المعصية دون أن يترتب على التوبة ، و فائدة هذا الاعتراض التعجيل ببيان مآل آدم إلى صلاح، و الاجتباء : الاصطفاء والهداية : الإرشاد إلى النفع.[2]

﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ** ﴾

استئناف بياني ، لأنّ الإخبار عن آدم بالعصيان والغواية يثير في نفس السامع سؤالا عن جزاء ذلك ، و ضمير **{{قال}}** عائد إلى **{{ ربّه }}** من قوله **{{ و عصى آدم ربّه }}** و الخطاب لآدم و إبليس و الأمر في **{{اهبطا }}** أمر تكوين ، لأنهما عاجزان عن الهبوط إلى

1 المرجع السابق ، ص 327 .

2 المرجع السابق ، ص 327 – 328 .

الأرض إلاّ بتكوين من الله إذ كان قرارهما في عالم الجنّة بتكوينه تعالى.[1]

و **{{ جميعا}}** يظهر أنه اسم لمعنى كلّ أفراد ما يوصف (بجميع)، و كأنه اسم مفرد يدل على التعدد مثل : فريق ، ولذلك يستوي فيه المذكر و غيره والواحد و غيره ، قال تعالى **{{فكيدوني جميعاً }}** و نصبه على الحال و هو هنا حال من ضمير **{{ اهبطا }}** و جملة **{{بعضكم لبعض عدوّ }}** حال ثانية من ضمير **{{ اهبطا }}** ، فالمأمور بالهبوط من الجنة آدم و إبليس و أما حواء فتبع لزوجها، والخطاب في قوله **{{ بعضكم}}** خطاب لآدم و إبليس ، و خوطبا بضمير الجمع لأنه أريد عداوة نسليهما فإنهما أصلان لنوعين نوع الإنسان و نوع الشيطان.[2]

: [123 127]

و الخطاب في قوله **{{ يأتينّكم }}** لآدم باعتبار أنّه أصل لنوع الإنسان إشعارا له بأنه سيكون منه جماعة ، و لا يشمل هذا الخطاب إبليس لأنّه مفطور على الشر و الضلال إذ قد أنباه الله بذلك عند إبايته السجود لآدم ، فلا يكفله الله باتباع الهدى ، لأنّ طلب الاهتداء ممن أعلمه الله بأنّه لا يزال في ضلال يعد عبثا ينزه عنه فعل الحكيم تعالى،و في هذه الآية وصاية

1 المرجع السابق ، ص 328 .

2 المرجع السابق ، ص 328.

الله آدم و ذريته باتباع رسل الله و الوحي الإلهي ، و بذلك يعلم أن طلب الهدى مركوز في الجبلة البشرية .[1]

و أما قوله **{{ فلا يضل }}** فمعناه : أنه إذا اتبع الهُدى الوارد من الله على لسان رسله سلّم من أن يعتريه شيء من ضلال ، و هذا مأخوذ من دلالة الفعل في حيّز النفي على العموم كعموم النكرة في سياق النّفي ، أي فلا يعتريه ضلال في الدنيا بخلاف من اتبع ما فيه هدى وارد من غير الله فإنه و إن استفاد هدى في بعض الأحوال لا يسلم من الوقوع في الضلال في أحوال أخرى .[2]

و الشقاء المنفي في قوله **{{ و لا تشقى }}** هو شقاء الآخرة لأنه إذا سلم من الضلال في الدنيا سلم من الشقاء في الآخرة ، و يدل لهذا مقابلة ضده في قوله **{{ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً و نحشره يوم القيامة أعمى }}** ، إذ رتب على الإعراض عن هدي الله اختلال حالة في الدنيا و الآخرة ، فالمعيشة مراد بها مدة المعيشة ، أي مدة الحياة ، والضنك : الضيق .[3]

وجعل الله عقابه يوم الحشر أن يكون أعمى تمثيلا لحالته الحسية يومئذ بحالته المعنوية في الدنيا ، و هي حالة عدم النظر في وسائل الهدى و النجاة ، و ذلك العمي عنوان

1 المرجع السابق ، ص 329 – 330 .
2 المرجع السابق ، ص 330 .
3 المرجع السابق ، ص 331 .

على غضب الله عليه و إقصائه عن رحمته ، ف **{{أعمى}}** الأول مجاز **{{ و أعمى}}** الثاني حقيقة و جملة **{{قال ربّ لِمَ حشرتني أعمى }}** مستأنفة استئنافا ابتدائيا ، و جملة **{{ قال كذلك أتتك }}** الخ ... واقعة في طريق المحاورة فلذلك فصلت و لم تعطف.[1]

و في هذه الآية دليل على أنّ الله أبلغ الإنسان من يوم نشأته التحذير من الضلال و الشرك ، فكان ذلك مستقرا في الفطرة ، و الإشارة في **{{ كذلك أتتك آياتنا}}** راجعة إلى العمى المضمن في قوله **{{ لم حشرتني أعمى }}** ، أي مثل ذلك الحال التي تساءلت عن سببها كنت نسيت آياتنا حين أتتك ، و كنت تُعرض عن النظر في الآيات حين تُدعى إليه فكذلك الحال كان عقابك عليه جزاءً وفاقا.[2]

و جملة **{{ و كذلك نجزي من أسرف }}** الخ ... تذييل ، يجوز أن تكون من حكاية ما يخاطب الله به من يحشر يوم القيامة أعمى قصد منها التوبيخ له و التنكيل ، فالواو عاطفةٌ الجملة على التي قبلها ، و يجوز أن تكون تذييلا للقصّة و ليست من الخطاب به من يحشر يوم القيامة أعمى قصد منها موعظة السامعين ليحذروا من أن يصيروا إلى مثل ذلك المصير ، فالواو اعتراضية لأن التذييل اعتراض في آخر الكلام ، و الواو الاعتراضية راجعة إلى الواو

1 المرجع السابق ، ص 332 .

2 المرجع السابق ، ص 332 .

العاطفة إلاّ أنها عاطفة مجموع كلام على مجموع كلام آخر لا على بعض الكلام المعطوف عليه.[1]

و الإسراف الاعتقاد الضال و عدم الإيمان بالآيات و مكابرتها و تكذيبها، و المشار إليه بقوله **{{ و كذلك }}** هو مضمون قوله **{{ فإنّ له معيشة ضنكا }}** ، أي و كذلك نجزي في الدنيا الّذين أسرفوا و لم يؤمنوا بالآيات ، و أعقبه بقوله **{{ و لعذاب الآخرة أشد و أبقىّ }}**، و هذا يجوز أن يكون تذييلا للقصة و ليس من حكاية خطاب الله للّذي حشره يوم القيامة أعمى ، فالمراد بعذاب الآخرة مقابل عذاب الدنيا المفاد من قوله **{{ فإن له معيشة ضنكًا }}** الآية، و الواو اعتراضية ، و يجوز أن تكون الجملة من حكاية خطاب الله للّذي يحشره أعمى ، فالمراد بعذاب الآخرة العذاب الذي وقع فيه المخاطب ، أي أشد من عذاب الدنيا و أبقى منه لأنّه أطول مّدة.[2]

و كل ما ذكرناه من إستفهام و أمر و وعد ونهي تمثل في الأفعال الكلامية.

و هنا ينتهي سياق قصة أدم عليه السلام لننتقل إلى سياق أخر والمتمثل في سياق لفت الأنظار إلى مصارع السابقين وذلك من خلال الأيات التالية:

1 المرجع السابق ، ص 332 .

2 المرجع السابق ، ص 333 .

﴿ **أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129)** ﴾ .

تفريع على الوعيد المتقدم في قوله تعالى **{{ و كذلك نّجزي من أسرف و لم يؤمن بآيات ربّه }}** ، جعل الاستفهام الإنكاري التعجبي مفرعا على الإخبار بالجزاء بالمعيشة الضنك لمن أعرض عن توحيد الله لأنّه سبب عليه لا محالة ، تعجيبا من حال غفلة المخاطبين المشركين عما حلّ بالأمم المماثلة لهم في الإشراك و الإعراض عن كتب الله و آيات الرسل فضمائر جمع الغائبين عائدة إلى معروف من مقام التعريض بالتحذير و الإنذار بقرينة قوله {{ يمشون في مساكنهم }}، فإنه لا يصلح إلا أن يكون حالا لقوم أحياء يومئذ.[1]

و جملة **{{ كم أهلكنا قبلهم من القرون }}** معلّقة فعل **{{ يهد }}** عن العمل في المفعول لوجود اسم الاستفهام بعدها ، أي ألم يرشدهم إلى جواب **{{ كم أهلكنا }}**

أي كثرة إهلاكنا القرون ، و فاعل **{{ يهد }}** ضمير دل عليه السياق و هو ضمير الجلالة ، و المعنى : أفلم يهد اللهُ لهم جواب **{{ كم أهلكنا }}**، و يجوز أن يكون الفاعل مضمون جملة **{{ كم أهلكنا }}** ، والمعنى أفلم يُبيّن لهم هذا السؤال ، على أن مفعول **{{ يهد }}** محذوف تنزيلا للفعل منزلة اللازم ، أي يحصل لهم التبيين.[2]

1 المرجع السابق ، 334 .

2 المرجع السابق ، ص 334 .

و جملة {{ إن في ذلك لآيات لأولي النهى }} في موضع التعليل للإنكار و التعجيب من حال غفلتهم عن هلاك تلك القرون ، فحرف التأكيد للاهتمام بالخبر و للإيذان بالتعليل، والنهى بضم النون و سكون الهاء : اسم العقل ، و قد يستعمل النهى مفردا بمعنى العقل ، و في هذا تعريض بالّذين لم يهتدوا بتلك الآيات بأنهم عديمو العقول ، كقوله {{ إن هم إلاّ كالأنعام بل أضل سبلا.[1]

جملة **{{ ولولا كلمة}}** ، عطف على جملة {{ أفلم يهد لهم }} باعتبار ما فيها من التحذير و التهديد و العبرة بالقرون الماضية ، و بأنهم جديرون بأن يحل بهم مثل ما حل بأولئك فلما كانوا قد غرتّهم أنفسهم بتكذيب الوعيد لما رأوا من تأخر نزول العذاب بهم فكانوا يقولون **{{متى هذا الوعد إن كنتم صادقين }}** عقب وعيدهم بالتنبيه على ما يزيل غرورهم بأن سبب التأخر كلمةٌ سبقت من الله بذلك لحِكّم يعلمها.[2]

فالكلمة هنا مراد بها : ما علمه الله من تأجيل حلول العذاب بهم ، فالله تعالى بحكمته أنظر قريش فلم يعجل لهم العذاب لأنّه أراد أن ينشر الإسلام بمن يؤمن منهم و بذرياّتهم، و في ذلك كرامة للنّبي محمد – صلّى الله عليه و سلّم – بتيسير أسباب بقاء شرعه و انتشاره لأنّه الشريعة

1 المرجع السابق ، ص 335 .

2 المرجع السابق ، ص 335 .

الخاتمة، و خص الله منهم بعذاب السيف و الأسر من كانوا أشداء في التكذيب و الإعراض حكمة منه تعالى .[1]

و اِللزام – بكسر اللام – : مصدر لازّم ، كالخصام ، استعمل مصدرا لفعل لّزم الثاني لقصد المبالغة في قوة المعنى كأنه حاصل من عدة ناس ، **{{ و أجل مسمّى }}** عطف على **{{ كلمةٌ }}** ، و التقدير ولولا كلمة و أجلٌ مسمّى يقع عنده الهلاك لكان إهلاكهم لزاما ، و المراد بالأجل : ما سيُكشف لهم من حلول العذاب إما في الدنيا بأن حل برجال منهم و هو عذاب البطشة الكبرى يومّ بدر ، و إما في الآخرة و هو ما سيحل بمن ماتوا كفّارا منهم ، و في معناه قوله تعالى **{{ قل ما يعبأ بكم ربّي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما }}**.[2]

ثم بعد ذلك يليها سياق زاد الطريق في الصلاة و الذكر و التسبيح وذلك من خلال الأيات التالية: ﴿ **فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)**﴾ .

1 المرجع السابق ، ص 336 .

2 المرجع السابق ، ص 336 –337 .

و فرع على ذلك أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالصبر على ما يقولون من التكذيب و بالوعيد لتأخير نزوله بهم ، و المعنى : فلا تستعجل لهم العذاب و اصبر على تكذيبهم و نحوه الشامل له الموصول في قوله **{{ ما يقولون }}** ، و أمره بأن يقبل على مزاولة تزكية نفسه و تزكية أهله بالصلاة ، و الإعراض عما متع الله الفّار برفاهية العيش ، و وعده بأن العاقبة للمتقين، فالتسبيح هنا مستعمل في الصلاة لاشتمالها على تسبيح الله و تنزيهه والباء في قوله {{ بحمد ربّك }} للملابسة ، و هي ملابسة الفاعل لفعله ، أي سبّح حامدا ربّك ، فموقع المجرور موقع الحال ، و الأوقات المذكورة هي أوقات الصلوات ، وهي وقت الصبح قبل طلوع الشمس ، ووقتان قبل غروبها وهما الظهر والعصر .[1]

و (منْ) في قوله **{{مِن آناء الليل }}** ابتدائية متعلّقة بفعل {{ فسبح }} و ذلك وقتا المغرب و العشاء و هذا كله من المجمل الذي بيّنته السنّة المتواترة، و وجه الاهتمام بآناء الليل أن الليل وقت تسيل فيه النفوس إلى الدعة فيخشى أن تتساهل في أداء الصلاة فيه و آناء اللّيل : ساعاته ، و قوله **{{و أطراف النهار }}** بالنصب عطف على قوله **{{ قبل طلوع الشمس }}**، و طرف الشيء منتهاه ، قيل : المراد أول النهار و آخره ، و هما وقتا الصبح و المغرب ، فيكون

1 المرجع السابق ، ص 337 – 338 .

من عطف البعض على الكل للاهتمام بالبعض، و قرأ الكسائي ، و أبو بكر بن عاصم **{{تُرضى }}** – بضم التاء – أي يرضيك ربّك .[1]

و أعقب أمره بالصبر على ما يقولونه بنهيه عن الإعجاب بما يَنْعم به من تنعم من المشركين بأموال و بنين في حين كفرهم بالله بأن ذلك لحكّم يعلمها الله تعالى ، و ذكر الأزواج هنا لدلالته على العّائلات و البيوت ، أي إلى ما متعناهم و أزواجهّم به من المتع ، فكلّ زوج ممتّع بمتعة في زوجه مما يحسن في نظر كلّ من محاسن قرينه وما يقارن ذلك من محاسن مشتركة بين الزوجين كالبنين و المنازل و الخدم .[2]

و جملة **{{ و رزق ربّك خير و أبقى }}** تذييل ، لأن قوله **{{ و لا تَمُدّنّ عينيك }}** إلى آخره يفيد أن ما يبدو للناظر من حسن شارتهم مشوب و مبطّن بفتنة في النفس و شقاء في العيش و عقاب عليه في الآخرة ، فذيل بأن الرزق الميسّر من الله للمؤمنين خير من ذلك و أبقى في الدنيا و منفعته باقية في الآخرة لما يقارنه في الدنيا من الشكر ، و إضافته **{{ رزق ربّك }}** إضافة تشريف ، و إلا فإن الرزق كلّه من الله ، و لكن رزق الكافرين لمّا خالطه و حف به حال أصحابه من غضب الله عليهم ، و لما فيه من التبعة على أصحابه في الدنيا والآخرة لكفرانهم

1 المرجع السابق ، ص 338– 339 .

2 المرجع السابق ، ص 339– 340 .

النعمة جعل كالمنكور انتسابه إلى الله ، و جعل رزق الله هو السالم من ملابسة الكفران و من تبعات ذلك.[1]

و **{{ خير }}** تفضيل ، و الخيرية حقيقة اعتبارية تختلف باختلاف نواحيها ، فتفضيل الخيرية جاء مجملا يظهر بالتدبر ، **{{ و أبقى }}** تفضيل على ما مُتّع به الكافرون لأنّ في رزق الكافرين بقاءً ، و هو أيضا يظهر بقاؤه بالتدبّر فيما يحف به و عواقبه .[2]

ذكر الأهل هنا مقابل لذكر الأزواج في قوله **{{ إلى ما متعنا به أزواجا منهم}}** فإن من أهل الرجلّ أزواجه ، أي مِتْعَتُك و متعةُ أهلك الصلاةُ فلا تلفتوا إلى زَخَارف الدنيا ، و أهل الرجل يكونون أمثل من ينتمون إليه ، و أمر الله رسوله بما هو أعظم مما يأمر به أهله و هو أن يصطبر على الصلاة، و الاصطبار : الانحباس ، مطاوع صبره ، إذا حبسه ، و هو مستعمل مجازا في إكثاره من الصلاة في النوافل .[3]

و المقصود من هذا الخطاب ابتداء هو النبي – عليه الصلاة و السلام – ، و يشمل أهلّه و المؤمنين لأنّ المعلّل به هذه الجملة مشترك في حكمه جميع المسلمين ، و جملة **{{ و العاقبة للتقوى }}** عطف على جملة **{{ لا نسألك رزقا }}**المعلّل بها أمره بالاصطبار للصلاة أي إنا سألنك التقوى والعاقبة، والتقوى تجيء في نهايتها عواقب خير ، واللام للملك تحقيقا لإرادة

1 المرجع السابق ، ص 341 .

2 المرجع السابق ، ص 341 – 342 .

3 المرجع السابق ، ص 342 .

الخير من العاقبة لأنّ شأن لام الملك أن تدل على نوال الأمر المرغوب ، و إنّما يطرد ذلك في عاقبة خير الآخرة ، و قد تكون العاقبة في خير الدنيا أيضا للتقوى ، و هذه الجملة تذييل لما فيها من معنى العموم ، أي لا تكون العاقبة إلا للتقوى.[1]

و في الختام يظهر لنا سياق تفنيد طلبات الكفار في تبديل القرآن و تهديدهم وليعود العجز إلى الصدر وذلك من خلال الأيات الأتية:

﴿**وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى (134) قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَ صْحَبُ ٱلصِّرَطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَى (135)**﴾.

رجوع إلى التنويه بشأن القرآن ، و بأنه أعظم المعجزات ، و هو الغرض الذي انتقل منه إلى أغراض مناسبة من قوله **{{ و كذلك أنزلناه قرآنا عربيا و صرفنا فيه من الوعيد لعلّهم يتّقون أو يحدث لهم ذكرا }}** ، و المناسبة في الانتقال هو ما تضمنه قوله **{{ فاصبر على ما يقولون }}** فجيء هنا بشِنّع من أقوالهم التي أمر الله رسوله بأن يصبر عليها في قوله **{{ فاصبر**

1 المرجع السابق ، ص 343 – 344 .

على ما يقولون }} ، فمن أقوالهم التي يقصدون منها التعنت و المكابرة أن قالوا: لولا يأتينا بآية من عند ربّه فنؤمن برسالته ، كما قال تعالى **{{ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون }}**.[1]

و جملة **{{ أو لم تأتهم بينّة ما في الصحف الأولى }}** في موضع الحال ، و الواو للحال ، أي قالوا ذلك في حال أنّهم أتتهم بيّنة ما في الصحف الأولى ، فالاستفهام إنكاري : أنكر به نفي إتيان آية لهم الذي اقتضاه تحضيضهم على الإتيان بآية، و وجه اختيار الصحف هنا على الكُتب أن في كلّ صحيفة من الكتب علما ، و أن جميعه حواه القرآن ، فكان كلّ جزء من القرآن آية و دليلا، و هذه البيّنة هي محمّد – صلّى الله عليه و سلم – و كتابُه القرآن ، لأنّ الرسول موعود به في الكتب السالفة ، و لأنّ في القرآن تصديقا لما في تلك رسول أمّيّ ليس من أهل الكتاب و لا نشأ في قوم أهل علم و مزاولة للتّاريخ مع مجيئه بما هوأوضح من فلق الصبح من أخبارهم التي لم يستطع أهل الكتاب إنكارها .[2]

و أما القرآن فما حواه من دلائل الصدق و الرشاد ، و ما امتاز به عن سائر الكتب من البلاغة و الفصاحة البالغتين حد الإعجاز ، و هو ما قامت به الحجّة على العرب مباشرة و على غيرهم استدلالا.[3]

---

1 المرجع السابق ، ص 344 .

2 المرجع السابق ، ص 344 – 345 .

3 المرجع السابق ، ص 345 .

الذي يظهر أن جملة **{{ و لو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله }}** معطوفة على جملة **{{ أو لم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى }}** ، و أنّ المعنى على الارتقاء في الاستدلال عليهم بأنّهم ضالّون حين أخروا الإيمان بما جاء به محمّد – صلّى الله عليه وسلم – و جعلوه متوقفا على أن يأتيهم بآية من ربّه ، لأنّ ما هم متلبسون به من الإشراك بالله ضلال بيّن قد حَجَبتْ عن إدراك فساده العادّات و اشتغال البال بشؤون دين الشرك ، فالإشراك وحده كاف في استدلال العقول على فساد ما هم فيه ، فكيف يسألون بعد ذلك إتيان الرسول لهم بآية على صدقة فيما دعاهم إليه من نبذ الشر ، ك لو سُلّم لهم جدلا أن ما جاءهم من البيّنة ليس هو بآية ، فقد بطل عذرهم من أصله ، و هو قولهم **{{ ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك }}**.[1]

و في هذه الآية دليل على أنّ الإيمان بوحدانية خالق الخلق يقتضيه العقل لولا حجب الضلالات و الهوى ، و أن مجيء الرسل لإيقاظ العقول و الفطر ، و أن الله لا يؤاخذ أهل الفترة على الإشتراك حتى يبعث إليهم رسولا ، و أن قريشا كانوا أهل فترة قبل بعثة محمد – صلى الله عليه و سلم – و معنى **{{ لقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولا }}** : أنهم يقولون ذلك يوم الحساب بعد أن أهلكهم الله الإهلاك المفروض ، لأنّ الإهلاك بعذاب الدنيا يقتضي أنهم معذبون في الآخرة.[2]

1 المرجع السابق ، ص 346 .

2 المرجع السابق ، ص 346– 347 .

[135]: جواب عن قولهم **{{ لولا يأتينا بآية من ربّه }}** و ما بينهما اعتراض والمعنى : كل فريق متربص فأنتم تتربصون بالإيمان ، أي تؤخرون الإيمان إلى أن تأتيكم آية من ربّي ، و نحن نتربص أن يأتيكم عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة ، و تفرع عليه جملة **{{ فتربصوا }}** ، و مادة الفعل المأمور به مستعملة في الدوام بالقرينة، و صيغة الأمر فيه مستعملة في الإنذار ، و يسمى المتاركة ، أي نترككم و تربصّكم لأنا مؤمنون بسوء مصيركم و تنوين (كلّ) تنوين عوض عن المضاف إليه المفهوم من المقام .[1]

و التربص : الانتظار تفعّل من الربْص ، و هو انتظار حصول حدث من خير أو شرّ ، و فرع على المتاركة إعلامهم بأنهم يعلمون في المستقبل من الفريقين أصحاب الصراط المستقيم ومن هم المهتدون ، و هذا تعريض بأن المؤمنين هم أصحاب الصراط المستقيم المهتدون، لأنّ مثل هذا الكلام لا يقوله في مقام المحاجة و المتاركة إلا الموقن بأنه المحق ، و فعل **{{ تعلمون }}** معلق عن العمل لوجود الاستفهام ، والصراط هو الطريق ، والسوي مشتق من التسوية.[2]

و قد جاءت خاتمة هذه السورة كأبلغ خواتم الكلام لإيذانها بانتهاء المحجّة و انطواء بساط المقارعة ، و من محاسنها أن فيها شبيه رد العجز على الصدر لأنّها تنظر إلى فاتحة السورة ، و هي قوله **{{ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى }}** ، لأنّ الخاتمة

1 المرجع السابق ، ص 347 – 348 .

2 المرجع السابق ، ص 348 .

تدل على أنّه قد بلّغ كل ما بعث به من الإرشاد و الاستدلال ، فإذ لم يهتدوا به فكفاه انثلاج صدره أنه أدى الرسالة و التذكرة فلم يكونوا من أهل الخشية فتركهم و صلالهم حتى يتبين لهم أنه الحق.[1]

وكل ما ذكرناه في الأيات السابقة من أمر و نهي و إستفهام و تعبريات يمثل الأفعال الكلامية.

9 . عبر و فوائد سورة "طه":

– سورة تقول لرسول الله _ صلى الله عليه و سلم _ : إن الدعوة و الداعية يؤيَّدُ من قبل الله تعالى بالآيات و البراهين الناطقة ، إذا سار في طريق الدعوة ، و يذلِّل الله له العقبات ، و يفتح له الأبواب و يريه من ألطافه ما لا يخطر على بال .[2]

_ سورة تقول : إن الداعية إلى الله محتاج إلى صدر واسع يحمل الناس و إلى عون من الله و تيسير، و إلى لسان يُبلِّغ عن الدعوة رسالتها ، و قد يكون اللسان قلما أو صحيفة أو وسيلة مرئية

1 المرجع السابق ، ص 349 .

2 خطبة ، سورة طه فوائد و عبر ، الشيخ ، د صالح محمد أل طالب، بتاريخ 2020\8\22 ، سا : 23:41:10 .https://khutabaa.com

وهو محتاج إلى من يؤازره و يشد عضده ، و هو قبل ذلك وبعده محتاج إلى اتصال وثيق بالله.[1]

_ سورة تقول: إن أساس الدعوة إلى الله الرفق واللِّين ، فلو كان المدعُوُّ أعتى الطُّغاة،

سورة تقول : إن على الدُّعاة أن يجتمعوا على كلمة سواء فبينهم من دواعي الاجتماع أكثر من دواعي الفرقة ، فكتابهم واحد ونبيهم واحد وغايتهم واحدة ، و إذا كان أهل الباطل يتنادونفيما بينهم فأهل الحق أولى بذلك.[2]

_ سورة تقول : إن على الداعية ألا يخاف لأن الله معه ، و أن الداعية إلى الله لا يتزحزح عن الطريق و لا يتأخر ، و لا يتراجع ، و لا يشك في أمر دعوته ، و إن اختلفت الأحوال على أتباعه ، وتقلَّبوا في فتنة السراء وفتنة الضرَّاء، كما أن الدعوة إلى الله جهاد ، و لابد للمجاهد من الصبر و الذكر فإنهما نعم العون في طريق الدعوة الطويل.[3]

_ على الداعية ألا يلتفت إلى ما في أيدي المحظوظين من المتاع فما عند الله خير و أبقى.[4]

1 المرجع السابق.

2 المرجع السابق.

3 المرجع السابق.

4 المرجع السابق.

نستنتج في الأخيرأن الله عز و جل يولي العناية الكاملة و الفائقة بالرسل و الأنبياء الذين يكلفهم بأداء رسالته وذلك من خلال تأيديهم بالحجج ، كما يحفظهم من كل عدو يهددهم، و الفوز و النصر دائما لهم و للمؤمنين في الدنيا و الأخرة والغلبة للطغاة و الكفار الذين يدعون الربوبية من أمثال فرعون، كما نستنتج من خلال هذه المقاربة أن مبادئ التداولية بشكل عام من إشاريات و أفعال كلامية و إستلازم حواري و خطاب و قصدية وحجاج والسياق بشكل خاص قد إحتلت مكانة هامة ومهمة في سورة "طه" ولولا السياق لما تمكن المفسرون من تفسيرها وتفسير السور القرأنية الأخرى وبالتالي فالسياق له دور كبير وفعال في التداولية ولا يمكن الإستغناء عنه فهو المفتاح الذي يمكننا من فهم الدلالات المقصودة من وراء الكلمات و الجمل الغامظة والمقفلة وهو الذي يسمح لنا من تحديد المعاني بدقة.

خاتمة

خاتمة:

ختاما من خلال هذه المذكرة والتي هي تحت عنوان :السياق و أهميته التداولية مقاربة في سورة "طه" نصل إلى هذه النتائج :

- أن التداولية بكل أبعادها و ما قدمته للدرس اللساني له أهمية كبيرة في دراسة اللغة التي نتواصل بها وذلك في ضوء السياق و الظروف المحيطة بها.
- أن التداولية في تعريفها اللغوي لا تخرج عن الجذر اللغوي (دول) و التي تتمثل في التحول و الدوران و التبدل و التغير، و معظم تعاريفها في العرف الإصطلاحي تركز على السياق بالدرجة الأول و بالظروف المحيطة بالعملية التواصلية ، كما أنه لا يوجد تعريف شامل و موحد في التعريف الإصطلاحي و ذلك لتعدد الإتجاهات و التخصصات التي لها خلفيات معرفية متنوعة.
- يعود الفضل في إستحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف "تشارلز ساندرس بيرس" من خلال نشره مقالتين في مجلة ميتافيزيقا، و أول إستعمال لهذا المصطلح يرجع إلى الفيلسوف "تشارلز موريس".
- كانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام مع "جون أوستين".
- عرفت فكرة التداولية من قبل علماء العرب في العصور القديمة وذلك من خلال اللغويين من النحاة وعلماء البلاغة و علماء المنطق و الفلاسفة و الأصوليين و الفقهاء ومن أمثال هؤلاء "الزمخشري" "السكاكي" "الجرجاني" "الرازي" و غيرهم.

- بفضل إسهامات علماء الغرب والعرب في محاولتهم لتأسيس المقاربة التداولية أصبح لهذه الأخيرة مبادئ و قواعد تساهم في الحصول على المعنى.
- تقوم التداولية على ثلاثة أسس وهي الفعل ، السياق،الكفاءة، كما أن الدارسون يقسمونها إلى درجات ثلاثة مهمة وتتمثل في دراسة الرموز الإشارية، المعنى الحرفي و المعنى التواصلي و نظرية أفعال الكلام تتحدد كل درجة على أساس تشغيلها لسياق.
- لتداولية أهمية كبيرة فهي مجال واسع يهتم بالخطاب و التواصل بشكل عام ، وهي ليست سلة مهملات اللسانيات تقوم بمعالجة ما عجزت عنه اللسانيات .
- التداولية لها مجموعة من المبادئ و هي : الإشاريات ، الأفعال الكلامية ، متضمنات القول،الإسلزام الحواري ،الحجاج، الخطاب ، القصدية ،السياق ، ويحتل السياق أهمية و مكانة كبيرة في كل هذه المبادئ حيث أنها تركز بالدرجة الأولى على العلاقة بين المتكلم و السياق المصاحب لكلامه .
- السياق هو أحد أهم مرتكزات اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء استعمالها.
- السياق أداة إجرائية يتميز بها التنظير اللساني التداولي على مستوى اللغة وعلى مستوى السياق الإجتماعي و الثقافي و النفسي .
- تعرف التداولية غالبا بعلم السياق و هذا دليل على أهمية و مكانة السياق بالنسبة لها.
- أثبتت التداولية أن الوقوف على النص بجميع مستوياته دون مراعاة السياق لا يعطينا إلاّ معنى فارغ و غامض.

- السياق ينقسم إلى نوعين سياق لغوي و سياق غير لغوي وكل نوع ينقسم بدوره إلى أنواع فالسياق اللغوي ينقسم إلى سياق صوتي ونحوي ودلالي ، والسياق غير اللغوي ينقسم إلى السياق المقامي ، الوجودي ، النفسي ، العاطفي ، الثقافي ، سياق الموقف ، سياق الفعل كما لسياق عناصر أساسية وهي المتكلم و المخاطب والمخاطب و الرسالة والزمان و المكان ، و ترابط هذه الأنواع والعناصر يساهم في عملية تسهيل التفسير التداولي للقضايا و المواقف التواصلية.
- انصب اهتمام البلاغين في دراستهم لسياق على فكرة مقتضى الحال و العلاقة بين المقال و المقام .
- إهتم علماء التفسير بالسياق من خلال تفسيرهم للقرآن الكريم حيث كانوا يعدلون عن ظاهر المعنى إلى آخر يتماشى مع السياق .
- يعد علم أصول الفقه من أشد علوم موروثنا العربي اهتماما بالسياق و وعيا بطبيعة دوره و توظيف سائر عناصره المقالية و المقامية والتي هي في منظوره أوضح طرائق الفهم و أقوى أليات الإستنباط ، ولقد استنبط الأصوليون معاني مختلفة للسياق كما ساهم الأصليون بشكل لا يستهان به في التنبه إلى الدور الكبير و المهم لسياق .
- إعتنى و إهتم القدامى بالسياق من خلال تعاملهم مع اللغة بوصفها كائنا حيا و ربطها بالمقامات التخاطبية التي تسيج العبارة مما جعل لسياق دورا فارقا في استخلاص المعنى المراد.

- إضافة إلى إهتمام علماء العرب بالسياق إهتم به أيضا علماء الغرب و تداولوه في دراساتهم و بحوثهم ومن أمثال هولاء نذكر "مالينوفسكي"، "فيرث"، " أوستين" ، "فان ديك" "ستفن أولمان"... وغيرهم.
- السياق مسألة ضرورية و حاسمة فهو بمثابة حجر الأساس في علم المعنى وهو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة ، و هو الذي يخلق للكلمة قيمة حضورية كما له أهمية كبيرة في عملية التخاطب من خلال تأثيره في المواقف بتعديلها أو تبديلها و أي إستغناء عنه يجعل قناة التواصل متوترة فهو ذو دور فعال في تواصلية الخطاب و انسجامه.
- يحتل السياق أهمية كبرى في التداولية فهو يشكل حيزا كبيرا في كل مبادئها و أسسها و أقطابها، و بفضل السياق إستطعنا معرفة أسباب نزول القرأن الكريم وبالتالي جعلنا نفهم أكثر المقصد من الأيات القرأنية عامة وسورة "طه" خاصة، و لولا السياق لما تمكن المفسرون من تفسير ومعرفة معاني و حقائق القرآن الكريم.
- تحتل سورة "طه" المرتبة العشرون في الترتيب المصحفي عدد أياتها مئة و خمسة و ثلاثون أية و هي سورة مكية ما عدا الأيتان رقم 130 و131 فقد نزلتا في المدينة المنورة وما وقع إختيارنا على هذه السورة إلاّ لتأكيدها و إثباتها لأهمية السياق بالنسبة لتداولية.
- يظهر السياق في سورة "طه" في شوطين إثنين الأول: يتضمن مطلع السورة و المتمثل في الخطاب الموجه لرسول صلى الله عليه و سلم ، و بعد ذلك تظهر قصة موسى وهنا تظهر

رعاية الله سبحانه و تعالى لمن يختارهم لإبلاغ رسالته خيث أنهم لا يشقون بها، أما الثاني: فيتمثل في مشاهد يوم القيامة و قصة أدم عليه السلام و اللذان يسيران في إتجاه مطلع السورة و قصة موسى ثم تختم السورة بما يشبه مطلعها و يتناسق مع جو السورة.

- إحتل السياق حيزا ومكانة هامة ومهمة في سورة "طه" و لولا السياق لما تمكنا من فهم مقاصد هذه السورة ، و لما تمكن المفسرون من تفسيرها وتفسير القرأن الكريم.
- السياق له دور كبير و فعال في التداولية و لا يمكن الاستغناء عنه فهو المفتاخ الذي يمكننا من فتح الأبواب الغامظة و المقفلة وهو الذي يسمح لنا بتحديد المعاني بدقة.

قائمة المصادر و المراجع.

أولا: المصادر و المراجع:

. القرآن الكريم برواية ورش.

1. ابن المنظور ، لسان العرب ، دار صادر لطباعة و النشر بيروت _ لبنان ، ط 1 ، سنة 1863 م.
2. إدريس مقبول ، الأسس الإيستيمولوجية للنظرالنحوي عند سبويه ،جدار للكتاب العالمي ،عالم الكتب الحديث اربد _ الأردن ، دط ، سنة 2008 م.
3. الأستاذة بوعياد ، محاضرات في تحليل الخطاب.
4. بومنقاش الرحموني ، محاضرات في مقياس التداولية .
5. بومنقاش السعيد ، محاضرات في مقياس التداولية .
6. د.خديجة بوخشة ، محاضرات في اللسانيات التداولية.
7. دومنيك منقونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب تر: محمد يحياتن ،منشورات الإختلاف،ط1 ،سنة 2006 م.
8. الزمخشري ، أساس البلاغة، تج محمد باسل عيون السود ، ج 1 ، منشورات دار الكتب العلمية بيروت _ لبنان ، ط 1 ، سنة 1998 م.
9. صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الأداب _ الكويت،دط، سنة 1992 م.

10.طه عبد الرحمن،أصول الحوار و تجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي بيروت _ لبنان ،ط2 ، سنة 2000 م.

11.عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية _ مصر ، ط 1 ، سنة 2007 م.

12.علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة ، دار مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء _ المغرب ، ط 1 ،سنة 2000 م.

13.عموري السعيد ، محاضرات في مناهج النقد المعاصر ، تخصص نقد و تحليل الخطاب .

14.فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي الرباط ، ط1 ،سنة 1988 م.

15.فيليب بلانشة ،التداولية من أوستين إلى غوفمان ، دارالحوار لنشر و التوزيع اللاذقية ،سوريا ، ط1 ،سنة 2007 م.

16.محمد أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية _ مصر ، دط ، سنة 2002 م .

17.محمد طاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج 16 ، الدار التونسية للنشر _ تونس ، دط ، سنة 1984 م.

18.محمد عبد العزيز عبد الدايم ، عرفات فيصل المنّاع ، نظرية السياق بين التوصيف و التأصيل و الإجراء ، منشورات الإختلاف الجزائر ، ط 1 ، سنة 2015 م.

19.محمود الألوسي البغداوي، ضبطه و صححه علي عبد الباري عطيّة ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، ج 8 ، دار الكتب العلمية بيروت _ لبنان ، ط 1 ، سنة 1994 م .

20.مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة بيروت _ لبنان ، ط 1 ،سنة 2005 م.

21.نعمان عبد المجيد بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب دراسة معجمية ، جدار للكتاب العالمي عمان _ الأردن ، ط 1 ، سنة 2009 م.

ثانيا : المجلات:

1. ابتسام خراف ، أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى عليه السلام ، مجلة كلية الأداب واللغات ، العدد 12 ، جامعة الحاج خيضر باتنة ، سنة 2013 م.
2. أقرين ، الثنائية القصدية بين التراث العربي و الدراسات الغربية ، مجلة دراسات في اللغة الغربية ، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها ، العدد 24 ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،سنة 2017 م.
3. باديس لهويمل ، التداولية و البلاغة العربية ، مجلة المخبر ، العدد 7 ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، سنة 2011 م.
4. جبريل محمد عثمان ، نظرية السياق عند فيرث ، مجلة العلوم الشرعية ،العدد 2 ، جامعةالمرقب ، ب ن ، سنة.

5. حسن طبل ، نظرية السياق بين الموروث العربي و اللسانيات الحديثة ، مجلة فكر وإبداع ،العدد 53 ، جامعة مصر القاهرة،سنة 2009 م.
6. شيتر رحيمة ، التداولية و أفاق التحليل، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، العدد 2 و 3 ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، سنة 2008 م.
7. غنيمة تومي ، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث مجلة المخبر، العدد6 ،جامعة محمد خيضر بسكرة، سنة 2010 م.
8. فطومة لحمادي ، السياق و النص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي ، مجلة كلية الأداب و العلوم الإنسانية والإجتماعية ،العدد 2 و 3 ، جامعة محمد خيضر بسكرة، سنة 2008 م.
9. محمد إسماعيل بصل و فاطمة بلة،ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث ،مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها ، العدد 18 ،جامعة تشرين اللاذقية سوريا، سنة 2014 م.
10. ميرود سعاد ، الاستلزام الحواري في سورة "طه" تحليل تداولي وفق نظرية غرايس ، مجلة المدونة مخبر الدراسات الأدبية و النقدية ، العدد 1 ، جامعة المدية ، سنة 2018 م.

ثالثا : المذكرات :

1. زعطوط حسين ،توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحوين و البلاغين و الأصولين،أطروحة دكتوراه،جامعة ورقلة،كلية الأداب و اللغات ، سنة 2012 ،2013 م.

2. عبد الرحمن بشلاغم،تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير فخر الدين الرازي"لسورة المؤمنون أنموذجا" ، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان ، كلية الأداب و اللغات ، سنة 2013 ،2014 م.

3. عماري محمد ، مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي، نظرية الخبر و الإنشاء أنموذجا،أطروحة دكتوراه ، جامعة باتنة ، كلية اللغة و الأداب العربي و الفنون ، سنة 2016 ،2017 م

4. هديل حسن عباس حسن ، التداولية النشأة و التطور ، إشراف الأستاذ المساعد الدكتور أحمد عاشور جعاز،جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية.

رابعا:المواقع الإلكترونية:

1. إيمان حمود،أسباب نزول سورة طه ،http://www,almrsal.com.
2. خالد عبود حمودي الشيخلي ، نظر في نظرية السياق دراسة بين القدماء و المحدثين، https://www.mabt3ath.com.
3. سورة طه ،iefpdia.com.
4. طلال مشعل ، سبب نزول سورة طه ،https://mawdoo3.com.
5. محمد سالم صالح،أصول النظرية السياقية الحديثة عندعلماء العربية و دور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى،https://www kau.edu.sa.

فهرس الموضوعات.

الموضوعات الصفحات

الشكر والعرفان.

الإهداء.

مقدمة.

الفصل الأول الجانب النظري:السياق و أهميته التداولية.

المبحث الأول: ماهية التداولية.

تمهيد.....1

1 . التداولية في عرفيها اللغوي و الإصطلاحي.....1

أ. التداولية لغة.....1

ب. التداولية إصطلاحا.....3

2 . النشأة و التطور.....8

3 . أسس التداولية.....15

4 . مهام التداولية.....16

5 . الدرجات الثلاثة لتداولية.....17

6 . التصورات الخاطئة عن التداولية.....20

7 . مقاربات الدرس التداولي و أثرها في البحث اللساني.....22

المبحث الثاني: مبادئ التداولية

توطئة.....26

مبادئ التداولية.....26

1 . الإشاريات DEIXIS.....27

أ. الإشاريات الشخصية.....28

ب. الإشاريات الزمانية.....29

ج. الإشاريات المكانية.....29

د. إشاريات الخطاب.....30

ه. الإشاريات الإجتماعية.....30

2 . الفعل الكلامي أو الأفعال الكلامية SPEECH ACT.....31

أ. فعل القول (الفعل اللغوي).....31

ب. الفعل المتضمن في القول.....32

ج. الفعل الناتج عن القول.....33

3 . متضمنات القولLES IMPLICITES.....36

أ. الإفتراض المسبق.....36

ب. الأقوال المضمرة.....38

4 . الإستلزام الحواري (المحادثي)L'IMPLICATION CONVERSATIONNLLE.....39

أ. مسلمة القدر أو الكم.....40

ب. مسلمة الكيف.....40

ت.مسلمة الملائمة أو العلاقة.....40

ث. مسلمة الجهة.....41

5 . الحجاج.....44

أ. الحجاج لغة.....44

ب. الحجاج إصطلاحا.....45

أصناف الحجاج.....46

أ. الحجاج التوجيهي.....47

ب. الحجاج التقويمي.....47

6 . الخطاب.....47

قوانين الخطاب.....48

أ. مبدأ التأدب.....48

ب. مبدأ التواجه.....49

ج. مبدأالتأدب الأقصى.....50

7 . القصدية.....50

المبحث الثالث : السياق.

تمهيد.....54

1 . المفهوم اللغوي لسياق.....54

أ. السياق في القاموس العربي.....54

ب. السياق في القاموس الغربي.....55

2 . المفهوم الإصطلاحي لسياق.....56

3 . مكانة السياق في المقاربة التداولية.....59

4 . أنواع السياق.....63

أ. السياق اللغوي.....63

ب. السياق غير اللغوي.....64

5 . عناصر السياق.....66

6 . السياق في الموروث العربي.....71

أ. في علم البلاغة.....71

ب. في علم التفسير.....76

ج. في علم أصول الفقه.....83

7 . السياق عند اللسانين الغرب.....87

8 . أهمية السياق.....95

الفصل الثاني الجانب التطبيقي : مقاربة في سورة طه.

1 . التعريف بسورة "طه".....97

2 . فضل قراءة سورة "طه".....97

3 . سبب تسمية سورة "طه" بهذا الإسم.....98

4 . أسباب نزول سورة "طه".....98

5 . مواضيع سورة "طه".....99

6 . أغراضها.....102

7 . السياق في سورة "طه".....103

8 . تفسير وتحليل سورة "طه".....104

9 . عبر وفوائد سورة "طه".....191

خاتمة.....194

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

المخلص و الكلمات المفتاحية.

الملخص:

هدفت الدراسة إلى إثبات **أهمية السياق في التداولية** و ذلك من خلال **المقاربة في سورة "طه"** و إثبات أن السياق عنصر أساسي لا يمكن الإستغناء عنه في التداولية و كذلك الدور و المساهمة الفعالة لسياق في تفسير القرآن (سورة طه)، و لتحقيق ذلك قسمت بحثي إلى مقدمة و فصلين (نظري و تطبيقي) و خاتمة ،حيث تضمن الفصل الأول النظري: السياق و أهميته التداولية، أما الفصل الثاني التطبيقي : فقد تطرقت فيه إلى المقاربة في سورة "طه"، واخترت هذه السورة لإحتلال السياق حيزا و أهمية كبيرة فيها، و الخاتمة: التي كانت عبارة عن النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

التداولية، مبادئ التداولية ، السياق ، الأهمية ، سورة "طه".